
اجاثا كريستي
جريمة في الصحراء



فيما بين المنحدرات الصخرية الشاهقة والبقايا العتيقة من جثمان السيدة "بوينتون"، الحاكمة القاسية والمستبدة من أسرة "بوينتون". إن علامة ثقب بالغ الصغر على معصمها هي العلامة الوحيدة للحقنة المميتة التي أودت بحياتها. ومع توفر **24** ساعة فقط لحل اللغز، يتذكر "هرقل بوارو" تعليقًا سمعه مصادفة في القدس: "ترى أنه كان واجبًا أن تقتل، أليس كذلك؟" لقد كانت السيدة "بوينتون"، بالفعل، المرأة الأكثر بغضًا وكراهية التي لم يُرَ مثلها من ذي قبل.

أجاثا كريستي

- الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.
- بيع من كتبها أكثر من 650 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.
- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في جنوب غرب إنجلترا من أب أميركي وأم إنجليزية، لكنّها تقول " إني إنجليزية ". تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعاً. فرواياتها كبيرة متكاملة، فيها عشرات الشخصيات الحيَّة التي يشعر بها الإنسان دائماً. لا تترك شخصية تظهر في رواية لها دون أن توضح كل معالمها في لمسات سريعة طريفة مهما كان دور هذه الشخصيَّة في الرواية، كما تميَّزت أيضاً بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. إنّها كاتبة فاضلة ليس في كتاباتها ما يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضا أهدافاً إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

ثمن النسخة

البلد	الثمن	البلد	الثمن
لبنان	3000 ل. ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل. س.	مسقط	1,5 ريال
الأردن	1,5 دينار	مصر	10 جنيه
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1,5 دينار	اليمن	400 ريال


ISBN 9953-38-191-7
9 789953 381916

جريمة في الصحراء

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

جريمة في الصحراء

(27)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

المركز الدولي

للصحافة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب 374 جونيه – لبنان

تلفون 00 961 9 212 666 فاكس 00 961 9 212 665

البريد الإلكتروني info@darmusic.net

www.darmusic.net

قام بعون الله الأستاذان / **محمد أبو غازي محمود - علي فرحات علي**

مشكورين بمراجعة هذا الكتاب وتدقيقه وتصويب أخطائه اللغوية والمطبعية.

الاسم الأصلي للرواية

Appointment with Death

(1938)

الغلاف بريشة الفنان

سمير غصن

- 1 -

– ولهذا كله يجب أن تقتل !

سمع "**هيركيول بوارو**" هذه العبارة وهو يضع يديه على مصراعي النافذة ليغلقها .. توقف لحظة ثم هز كتفيه ، وأغلق النافذة ، لأنه نشأ على الاعتقاد بأن هواء الليل ، خارج البيوت ، يجب أن يبقى خارجها لأنه ليس ما هو أخطر منه على الصحة في أثناء النوم ..

– ولهذا كله يجب أن تقتل ! .

كلمات عجيبة ! وأعجب منها أن تصل إلى أذنيه في أول ليلة له بمدينة "**القدس**" .

قال لنفسه وهو ينصرف عن النافذة :

– يبدو أنني لابد أن أسمع أو أرى شيئا يذكرني بالجريمة والمجرمين أينما ذهبت .

ومرة أخرى هز "**بوارو**" رأسه وهو يستعيد في ذاكرته تلك العبارة التي سمعها عند إغلاق النافذة .

ترى أهي عبارة كان يقرؤها أحد من رواية بوليسية ، أم أنها عبارة حوار في مسرحية !

ابتسم وقال لنفسه :

– ربما أحتاج يوما إلى تذكر هذه الكلمات عندما تتحول إلى حقائق رهيبة .

وتذكر نبرات صوت الناطق بها ... نبرات شاب ثائر النفس ، متوتر الأعصاب .

ثم قال "**بوارو**" لنفسه وهو يطفئ المصباح ويأوي إلى فراشه :

– من المؤكد أنني سأتعرف على صاحب هذا الصوت إذا رأيته وسمعته يتكلم مرة أخرى .



كان صاحب الصوت هو "**ريموند بونتون**" .. شاب في نحو الخامسة والعشرين ، كان واقفا إلى نافذة الغرفة المجاورة لغرفة "**بوارو**" بفندق الملك "**سليمان**" بمدينة "**القدس**" . وكانت تقف بجانبه شقيقته "**كارول**" ، وهي شابة في نحو الثالثة والعشرين من عمرها ، وكانا يتبادلان الحديث في سكون الليل . وقد عاد "**ريموند**" وكرر هذه العبارة :

– ولهذا كله يجب أن تقتل !

تململت "**كارول**" قليلا ، ثم تمتمت بصوت متهدج :

– وهذا مخيف .

قال "**ريموند**" بعنف :

– لا يمكن أن يستمر الحال هكذا .. يجب أن نفعل شيئا ، وليس أمامنا شيء آخر يمكن أن نفعله !

– لو كان في مقدورنا أن نهرب ..

– "**كارول**" .. إنك تعلمين أننا لا نستطيع ..

– نعم يا "**ريموند**" .. إنني أعلم .. أعلم هذا ..

أرسل "**ريموند**" ضحكة مريرة وقال :

– إن الناس يظنون أننا مجانين ، لأننا عاجزون عن الهرب من حياتنا هذه .

فقالت "**كارول**" ببطء :

– لعلنا مجانين حقا ! ..

– سوف نكون مجانين فعلا إذا استمرت حياتنا على هذا النحو مدة أخرى . ولعل من بوادر جنوننا أننا الآن ندبر جريمة لقتل أمنا ..

فهتفت "**كارول**" قائلة بحدة :

– لا .. لا .... إنها ليست أمنا ..

– صدقت .. إن زوجة الأب لا يمكن أن تكون أما .. مهما تظاهرت بذلك ،

ثم أردف قائلا بصوت ثابت :

– هل توافقين يا "**كارول**" ؟ ..

– نعم .. إنني أعتقد أن موتها ضرورة لابد منها ..

ثم انفجرت قائلة بصوت ينم عن ثورتها النفسية :

– إنها مجنونة .. إنني واثقة من جنونها . ولو كانت عاقلة لما تلذذت بتعذيبنا على هذا النحو . لقد عشنا سنوات وسنوات ونحن نقول : إن هذا لا يمكن أن يدوم .. ولكنه دائم .. وقلنا كثيرا : إنها سوف تموت يوما .. ولكنها لم تمت ، ولا أعتقد أنها ستموت إلا ....

فأكمل لها "**ريموند**" العبارة بقوله :

– إلا إذا قتلناها ..

– نعم .

ضم "**ريموند**" قبضتي يديه وقال :

– ولابد أن يكون قاتلها واحد منا .. أنت أو أنا .. إننا لا نستطيع أن نعتمد على شقيقنا "**لينوكس**" أو زوجته "**نادين**" .. كما أننا لا نستطيع الاعتماد على أختنا الصغرى "**جيني**" ..

فارتعدت "**كارول**" وقالت :

– يا للمسكينة "**جيني**" !. لشد ما أنا خائفة عليها ...

– نعم . إن حالتها تزداد سوءا . وهذا ما يدعونا إلى الإسراع في القيام بعمل حاسم ..

التفتت "**كارول**" نحوه وقالت فجأة :

– الذي يدهشني يا "**ريموند**" أنك تغيرت فجأة في يوم وليلة ! ما الذي جعلك تصر على الخلاص من هذه الشيطانة الآن ؟

– لا شيء يا "**كارول**" .. ولكنني لم أعد أحتمل ..

– أم لعلها تلك الفتاة الحسناء التي التقيت بها في القطار .

– لا .. بالتأكيد لا .. ما شأن تلك الفتاة بنا .. لنعد إلى موضوعنا ..

– تعني إلى خطتك ! هل أنت واثق من إحكامها ؟
فقال "**ريموند**" بصوت كله ثقة :
– نعم . وسأخبرك بتفاصيلها .
ثم اقترب برأسه من رأسها ، وراح يهمس في أذنها . .

- 2 -

وقفت الآنسة "**سارة كنج**" – الطبيبة حديثة التخرج – بجوار مائدة الكتابة في قاعة المكتبة بفندق الملك "**سليمان**" بـ"**القدس**" . وكان جبينها مقطبا ، والقلق يبدو في عينيها وهي تقلب صفحات بعض المجلات .

ودخل رجل فرنسي في منتصف العمر ، طويل القامة ، وراح يراقبها لحظة قبل أن يمضي إلى الجانب المواجه لها عبر المائدة . فلما التقت عيونهما ابتسمت "**سارة**" قليلا وقد تذكرت أنه نفس الرجل الذي ساعدها في استدعاء بعض الحمالين عند سفرها من القاهرة .

قال لها الرجل الفرنسي ردا على ابتسامتها :
– هل أعجبتك مدينة "**القدس**" ؟ !
– إلى حد ما . .
ثم ابتسمت وقالت :
– تصور أنهم طردوني من أحد الأماكن المقدسة لأن ذراعيّ عاريتان ! يبدو أن الله في رأيهم ، لا يحب الأذرع العارية رغم أنه خالقها !
فضحك الفرنسي وقال :
– كنت سأطلب بعض القهوة ، فهل تسمحين وتشربين معي يا آنسة . .
– "**سارة كنج**" . .
أخرج من جيبه بطاقة ثم قال وهو يقدمها :

- وهذا هو اسمي ..

نظرت "**سارة**" في البطاقة . ثم همست قائلة في ابتهاج ورهبة :

- الدكتور "**تيودور جيرار**" ! لشد ما أنا سعيدة بمعرفتك يا سيدي لقد قرأت كل مؤلفاتك في علم النفس . وإن آراءك في مرض الانفصام لمثيرة جدا .. إنك أشهر طبيب للأمراض العصبية يا دكتور .

- أحقا ؟ ! ..

- نعم . وإني لأقدرها بحكم عملي .. لقد تخرجت حديثا في كلية الطب .

- آه .. فهمت ..

ولكن الدكتور "**جيرار**" كان أكثر اهتماما بجمال "**سارة**" منه بشهادتها الطبية. وقد سرته أمارات الرهبة والإعجاب المطلة من عينيها وهي تنظر إليه .

وسألها قائلا :

- هل ستمكثين معنا طويلا ؟ ..

- بضعة أيام .. ثم أمضي إلى مدينة "**بطرا**" ..

- أها .. وأنا أيضا أفكر في هذه الزيارة إذا لم تستغرق وقتا طويلا لأني مضطر أن أعود إلى "**باريس**" قبل الرابع عشر من هذا الشهر .

- إن الرحلة إليها تستغرق أسبوعا كما أظن .. يومان في الذهاب ، ويومان في الإقامة ، ثم يومان للإياب .

- يجب أن أذهب إلى مكتب الرحلات غدا وأرى ماذا ينبغي أن أفعل .

وفي تلك اللحظة دخلت جماعة إلى ركن القاعة ، فتأملت "**سارة**" أفرادها ، ثم قالت بصوت خافت :

- أترى هؤلاء الناس . لقد غادروا القاهرة معي أمس .

فألقى الدكتور "**جيرار**" نظرة عليهم ثم قال :

- أمريكيون ؟ !

- نعم .. أسرة أمريكية . ولكنها أسرة غريبة الأطوار كما يبدو لي .

– غريبة الأطوار ؟ .. لماذا ؟ ..

– انظر إليهم ولا سيما السيدة العجوز .

تأمل الدكتور "**جيرار**" وجوه أفراد الأسرة بنظراته الفاحصة ، ولاحظ أولا الرجل الطويل العريض الذي يبلغ من العمر ثلاثين عاما ، كان وجهه وسيما، ولكن قسماته تنم عن ضعف الشخصية والميل إلى الانطواء . ثم نظر إلى الشاب الأصغر ، وكان جميلا كآلهة الإغريق ، إلا أنه كان أيضا غريب الأطوار متوتر الأعصاب أما الفتاة الأصغر منه ، فكانت أخته ، لشدة الشبه بينها وبينه في السمت وفي التوتر برأسها كالهالة . كانت أيضا تعبر عن حالتها العصبية بلا وعي بتمزيق المنديل الصغير الذي أمسكت به ، أما السيدة الشابة ذات الشعر الفاحم ، والوجه الهادئ ، فكانت تشبه في غموضها لوحة مرسومة بريشة "**ليوناردو دافنشي**" ، أما السيدة العجوز التي توسطت الجمع ، فقد جعلت الدكتور "**جيرار**" يقول لنفسه في رهبة:

– يا للهول ! ... إنها نموذج لزوجة الشيطان ، إن كان للشيطان زوجة .

كانت امرأة عجوزا بدينة ، صارمة الملامح، حادة النظرات ، أشبه ما تكون بعنكبوت ضخم سام قابع في شبكة نسيجه .

هز كتفيه وقال لـ"**سارة**" :

– إن الأم دميمة جدا ..

– إن في هيئتها ما يثير الرعب .. ألا ترى هذا ؟ ...

– أعتقد هذا !...

وهناك طابع خاص في سلوك الذين حولها نحوها أليس كذلك ؟ .

– بلى .. من هم أفراد هذه الأسرة ؟ هل تعرفين ؟

– إنهم أسرة "**بونتون**" : الأم ، والابن الأكبر ، وزوجته ، ثم ابن أصغر و أخت صغرى ومن عجب أنهم لايتحدثون مع أحد أو يختلطون بأحد ولايستطيع أحدهم أن يفعل شيئا إلا بأمر الأم العجوز .

– يبدو أنها من النوع المستبد ..

– بل إنها طاغية كما يلوح لي ..

ابتسم "**جيرار**" لنفسه حين رأى "**سارة**" تركز نظراتها على الشاب الجميل بين أفراد الأسرة ، ثم فكر (يبدو أنها تحبه!) وبصوت مسموع لها قال :

– هل تحدثت إليهم ؟ ..

– الشاب .. الابن الأصغر ؟ ..

– نعم .. في القطار الذي جاء بنا من القنطرة . كان في الممر بين مقصورات الدرجة الأولى .. وقد تحدثت معه ..

– وما رأيك فيه ؟

ترددت "**سارة**" برهة قبل أن تجيب قائلة :

– بدا لي أن في الأمر شيئا غير طبيعي .. فأولا لاحظت أن وجهه يحمر بشدة ولأقل سبب .

فابتسم "**جيرار**"وقال :

– لعل له عذرا ..

ضحكت "**سارة**" وقالت :

– تعني أنه حسبني واحدة من صائدات الرجال ؟ .. إن هذا الخاطر لم يطرأ على فكره .. و الرجل عادة يعرف هذا النوع من السيدات ، أليس كذلك ؟

فلما أومأ "**جيرار**" برأسه ، استطردت هي تقول :

– إن الشيء الذي أثار اهتمامي به أنني لاحظت بوضوح أنه مضطرب الأعصاب ، وخائف من شيء ما .. وهذا وحده أمر غريب ! فإن الأمريكيين يظهرون أمامنا عادة في مظهر الإنسان الواثق من نفسه إلى حد كبير . وهذا الشاب ليس حدثا .. إن سنه لا تقل عن الثالثة والعشرين .

– بل أعتقد أنه في الرابعة أو الخامسة و العشرين .

– ومع ذلك فإنه يبدو من تصرفاته كأنه غلام .. وأعتقد أن لهذه الحالة علاقة أكيدة بتلك المرأة الرهيبة .

– يبدو أنك تكرهينها جدا .

– نعم .. إنني أنفر منها وكأنها أفعى شريرة النظرات .

فابتسم "**جيرار**" وقال :

– إن الأم أحيانا تبدو شريرة النظرات حين ترى ابنها مفتونا بفتاة جميلة مثلك!

وقبل أن تقول "**سارة**" شيئا ، إذا بالشاب "**ريموند**" ينهض ويعبر القاعة إلى مائدة الكتابة حيث اختار بعض المجلات .

وحين اقترب من مقعدها في أثناء عودته ، نظرت إليه وقالت له :

– هل كنت مشغولا اليوم بمشاهدة الأماكن الأثرية ؟!

وكانت قد اختارت كلماتها بلا تفكير ، لأنها أرادت فقط أن ترى كيف سيتصرف عند سماعها ..

توقف "**ريموند**" فجأة ، ثم اضطرم وجهه بشدة ثم أجفل كجواد فزع من شيء، ثم أرسل نظرات خوف إلى الأم البدينة ، وقال متلعثما :

– أوه .. نعم .. بالتأكيد .. نعم .

وكأنما لكزه أحد من الخلف فجأة ، فإذا هو يندفع عائدا إلى الأسرة ممسكا بالمجلة ..

مدت المرأة الشبيهة بتمثال "**بوذا**" يدا بدينة وتناولت المجلة ، ولكن نظراتها كانت مركزة على وجه الشاب وهي تغمغم بكلمات شكر ، ثم تحولت هذه النظرات واستقرت برهة على وجه "**سارة**" ..

نظرت "**سارة**" في ساعة يدها ثم نهضت قائلة :

– أوه .. لقد مر الوقت بسرعة . شكرا جزيلا على القهوة يا دكتور "**جيرار**" . يجب أن أسرع لكتابة بعض الرسائل فنهض وصافحها قائلا :

– سوف أراك مرة أخرى .. أليس كذلك ؟

– أوه .. بالتأكيد . إذا قررت السفر إلى "**بطرا**" .

– سأبذل كل جهدي في هذا السبيل ..

ابتسمت له "**سارة**" ، واستدارت ، وكان طريقها إلى خارج الغرفة يمر بمكان جلوس الأسرة ، وراح الدكتور "**جيرار**" يرقب الموقف . فرأى نظرات المرأة البدينة تتركز على الشاب "**ريموند**" .. ورأى "**ريموند**" يدير وجهه ، لا نحو "**سارة**" ، وإنما بعيدا عنها ، وكأنما هناك يد خفية تضغط على الوجه وتبعده عن اتجاه "**سارة**" .

لاحظت "**سارة**" كل شيء . ولم تتمالك أن تشعر بالاستياء من "**ريموند**" ، إذ تذكرت أنها تحدثت معه في القطار حديثا وديا طويلا ، وتبادلا المعلومات والذكريات عن الآثار المصرية ، وعن اللهجات المحلية ، وكان الشاب يبدو لها متحمسا كتلميذ يقوم بأول رحلة مدرسية خارج وطنه . فما معنى موقفه الآن؟ ولماذا يشيح بوجهه عنها ؟

وقالت لنفسها في استنكار :

– إنني لن أهتم بأمره بعد اليوم ..

كانت "**سارة**" تعرف تماما أنها جميلة ، وجذابة ، ولهذا لم يكن في وسعها أن تقبل مثل هذا التصرف من شاب عرفته وتحدثت إليه .

وبدلا من أن تكتب رسائلها ، جلست أمام مرآتها تمشط شعرها وتفكر في حياتها . كانت قد خرجت لتوها من أزمة عاطفية أليمة ، إذ فسخت خطبتها ، في الشهر السابق ، مع طبيب شاب يكبرها بأربعة أعوام . وكان سبب فسخ الخطبة ، إدراكها في النهاية أن كلا منهما له شخصية قوية ، وأن الاصطدام بين شخصيتيهما لابد أن ينتهي إلى التعاسة إذا تم الزواج . ولكن هذه الأزمة العاطفية سببت لها آلاما نفسية عنيفة ، وجعلتها تقوم بهذه الرحلة للترفيه ، قبل أن تعود إلى وطنها ، "**إنجلترا**" ، وتبدأ حياتها العملية .

ارتدت أفكارها من الماضي إلى الحاضر وتركزت في النهاية على الشاب "**ريموند**" . وشعرت بلون من الاحتقار له ، وكان مصدر هذا الشعور ذلك الخضوع المهين الذي جعل الشاب يتجاهلها خوفا من أمه ! .

ومع ذلك ؟ !

إن إحساسا غريبا يخامرها .. فلاشك أن هناك سببا ما؛ سببا غامضا وراء تصرف الشاب !

وفجأة وجدت نفسها تقول بصوت مسموع ، وبلهجة حاسمة :

– إن هذا الشاب في حاجة إلى إنقاذ .. ولسوف أرى ماذا يجب أن أفعل من أجله !

- 3 -

عندما غادرت "**سارة**" المكان ، تلكأ الدكتور "**جيرار**" في ركن من غرفة المكتبة لحظات ، ثم مضى إلى مائدة الكتب والمجلات ، وتناول صحيفة "**الماتان**" ومضى بها إلى مقعد قريب من أسرة "**بونتون**" .

كان في أول الأمر يتسلى باهتمام الفتاة الإنجليزية "**سارة**" بهذه الأسرة الأمريكية . وكان يشعر أن اهتمامها هذا ينبع من اهتمامها الخاص بواحد معين من أفرادها .. الشاب الجميل الذي يشبه أحد آلهة الإغريق . أما الآن ، فقد بدأ هو نفسه يهتم بأمر هذه الأسرة حين أدرك بخبرته في علم النفس وتجاربه في الأمراض العصبية أن هناك شيئا غامضا يحيط بهذه الأسرة .

وراح من وراء صحيفته يختلس النظر إلى أفرادها .. وركز اهتمامه أولا على الشاب الذي أثار إعجاب واهتمام الإنجليزية الحسناء "**سارة كنج**" . وأدرك "**جيرار**" على الفور أن الشاب من الطراز الذي يستهوي فتاة مثل "**سارة**" . إنها فتاة تتمتع بقوة الشخصية ، وبالاتزان الفكري وبالتفكير المنطقي السليم ، وبالإرادة القوية ، بينما يبدو على الشاب أنه مرهف الحس، خيالي النزعة . كما كان في تلك اللحظة يعاني مؤثرا عصبيا شديدا .. ولم يدر الدكتور "**جيرار**" لماذا ! لماذا تتوتر أعصاب شاب وسيم يستمتع برحلة خارج بلاده ؟ !

حول "**جيرار**" اهتمامه إلى بقية أفراد الأسرة . كان من الواضح أن الفتاة ذات

الشعر الكستنائي هي أخت "**ريموند**" .

كان الشبه بينهما واضحا في تركيب الجسم ، وفي المظهر الأرستقراطي العام . كما كانت أيضا متوترة الأعصاب مثله .

كان هذا التوتر يبدو واضحا في صوتها وفي عباراتها السريعة ، القصيرة ، الحاسمة .

وسمع الدكتور "**جيرار**" مقتطفات من أحاديث الأسرة ..

عبارات عادية يمكن أن تدور بين أفراد أية أسرة أخرى :

– ربما نذهب إلى حظيرة جياد فندق الملك "**سليمان**" ..

– أليس في هذا مشقة على أمنا ؟ ! ..

– ثم نمضي إلى حائط المبكى في الصباح ..

– والمعبد أيضا .. إنهم يسمونه مسجد عمر ..

إنها عبارات عادية يمكن أن تتبادلها أفراد أية أسرة تقوم برحلة خارج البلاد ولكن شيئا ما في نبرات الأصوات جعل الدكتور "**جيرار**" يشعر أن هذه العبارات لا تمت إلى الحقيقة بسبب ، أو بمعنى آخر عبارات تخفي وراءها معاني أخرى أعمق وأغمض وأبعد عن تفكير الشخص العادي .

ومرة أخرى اختلس "**جيرار**" نظرة من وراء صحيفته ، وركزها هذه المرة على "**لينوكس**" ، أكبر الأبناء .. وبدا له في وضوح أنه إنسان يائس تماما .. فقد كانت أمارات اليأس والاستسلام ناطقة على وجهه ، ومن ثم قال "**جيرار**" لنفسه :

"إن المسكين يشبه مريضا بالسرطان يعلم أن نهايته اقتربت فهو ينتظرها في استسلام ، شاكرا الله على حقن المخدر التي تخفف عنه آلامه" .

وتحول الدكتور "**جيرار**" بنظراته إلى الفتاة الصغرى التي بدت له في نحو التاسعة عشرة من العمر ، رقيقة صافية البشرة ، ذهبية الشعر ، جميلة الملامح كانت جالسة في شبه ذهول ، تبتسم لنفسها ، وكأنها تحلق في عالم بعيد عن مدينة "**القدس**" ، وفندق الملك "**سليمان**" . وقد ذكرته ابتسامتها الذاهلة

بابتسامات تماثيل الآلهة في معابد الإغريق . ولكنه لاحظ فجأة أن يديها اللتين كانتا في حجرها مشغولتان بتمزيق منديل حريري صغير .. وكانت صدمة عنيفة لـ"**جيرار**" .. هذه الابتسامة الذاهلة ، والجسم الساكن ثم اليدان المدمرتان!

رفعت الأم البدينة العجوز رأسها ، وسعلت قليلا ، ثم قالت للفتاة الصغرى :
"**جنيفرا**" .. إنك متعبة ، يحسن أن تأوي إلى فراشك .

أجفلت الفتاة ، وجمدت أصابعها على المنديل الممزق ، ثم قالت :

– إنني لست متعبة يا أماه ..

أعجب "**جيرار**" بصوت الفتاة الموسيقي .. وكانت الموسيقى فيه تضفي على أية عبارة تنطق بها رنينا عذبا يسعد الأسماع .

وردت الأم بصوتها المنفر قائلة :

– لا .. بل أنت متعبة ، وأنا أعرف هذا دائما . وإذا لم تنهضي للاستراحة الآن ، فلن تستطيعي أن تقومي معنا بجولة الغد لمشاهدة الآثار ..

– إنني في أحسن حال يا أماه .. لا أشعر بأي تعب .

وبصوت أجش يؤذي سماعه أعصاب الأذن ، قالت الأم :

– لا .. إنك لست على ما يرام .. وسوف تمرضين ..

– أبدا .. أبدا يا أماه .. إنني بخير ..

بدأت الفتاة ترتعد بعنف . وهنا سمع "**جيرار**" صوتا رقيقا هادئا يقول :

– لسوف أصعد معك إلى غرفتك يا "**جيني**" ..

ونهضت صاحبة الصوت .. السيدة الهادئة ذات العينين الرماديتين الواسعتين والشعر الفاحم .. زوجة "**لينوكس**" .

ولكن الأم العجوز قالت بصوت حازم :

– لا يا "**نادين**" دعيها تمضي بمفردها ..

صاحت الفتاة قائلة في احتجاج :

– لا .. إنني أريد أن تأتي "**نادين**" معي ..

تقدمت "**نادين**" نحوها خطوة وهي تقول :

– سوف أصحبك بالتأكيد يا "**جيني**" ...

ولكن الأم العجوز عادت تقول :

– إن "**جنيفرا**" تفضل الذهاب إلى غرفتها بمفردها .. أليس كذلك يا عزيزتي ؟.

وبعد لحظة صمت ، قالت "**جنيفرا**" بصوت كله اليأس والاستسلام .

– بلى .. أفضل الذهاب بمفردي .. شكرا لك يا "**نادين**" ثم استدارت ومضت بقامتها الطويلة ، وخطواتها الرشيقة وأزاح الدكتور "**جيرار**" الصحيفة عن وجهه ، وراح ينظر إلى الأم العجوز السيدة "**بونتون**" ، في تأمل . وقد رآها تشيع ابنتها بنظرات تنم عن الرضا وعلى شفتيها ابتسامة غريبة غامضة . وبعد وهلة حولت المرأة العجوز نظراتها إلى "**نادين**" التي عادت إلى مجلسها، ورفعت هذه رأسها وبادلت حماتها النظر وقد خلا وجهها من أية تعبيرات تنم عن حقيقة مشاعرها . أما نظرة العجوز فكانت مليئة بالشر والحقد ..

قال "**جيرار**" لنفسه :

"يالها من امرأة طاغية فريدة من نوعها"

وتذكر "**جيرار**" امرأة شابة كانت تروض الوحوش .. تذكر أن نظراتها كانت تشبه في قوة تأثيرها نظرات تلك المرأة العجوز .. وتذكر أيضا كيف كانت الوحوش تنظر إلى المروضة بعيون مليئة بالحقد والكراهية ، ولكنها لم تكن تستطيع إلا أن تستسلم للأوامر .

وقال لنفسه : "إنها نموذج للطاغية الرهيب" .

وأدرك في تلك اللحظة المعاني الحقيقية التي كانت تختفي وراء عبارات أفراد الأسرة عند الحديث العادي .. إنها معاني تنم عن الحقد والكراهية والتمرد المكبوت .

وعاد ينظر باهتمام إلى السيدة الشابة المدعوة "**نادين**" ، كان خاتم الزواج في أصبع يدها اليسرى ، وقد أدرك من نظراتها السريعة القلقة إلى الابن الأكبر ،

" **لينوكس** " ، أنه زوجها ، كانت نظرات زوجة إلى زوج .. بل نظرات أم إلى ابن.. أم كلها العطف والحنان والقلق إلى ابن ضعيف مريض هادئ الحركة ، ومن نظرات "**نادين**" عرف أنها الوحيدة بين أفراد الأسرة التي لا تخشى حماتها.. إنها تكرهها ، وهذا واضح جدا ، ولكنها لا تخشاها .

ورغم ما ينم عليه وجهها من بؤس وقلق ، بسبب حالة زوجها ، فقد كانت هي الوحيدة التي تعرف معنى الحرية ، كانت هي الوحيدة التي تواجه عيني الأفعى دون أن ترتعد .

- 4 -

بينما كان "**جيرار**" يفكر في هذا كله ، إذا برجل يدخل قاعة المكتبة ، وإذا به يتجه نحو أسرة "**بونتون**" حين وقعت عيناه على أفرادها ، وكان رجلا أمريكيا في منتصف العمر ، شديد العناية بملابسه ، وكان صوته رتيب النبرات وهو يتحدث قائلا :

– كنت أبحث عنكم ..

وبعد أن صافح الجميع ، قال للأم العجوز :

– وكيف حالك الآن يا سيدة "**بونتون**" ؟ هل أتعبتك الرحلة ؟

وللمرة الأولى كان صوت الأم رقيقا بعض الشيء وهي تقول :

– لا .. شكرا .. إن صحتي كما تعلم لم تكن جيدة في الأشهر الأخيرة ...

– ولكنني لست أسوأ حالا مما كنت ..

ثم رسمت على شفتيها ابتسامة بطيئة وأردفت قائلة :

– إن "**نادين**" تهتم بأمري وترعاني .. أليس كذلك يا "**نادين**" ؟

فقالت "**نادين**" بصوت غير معبر :

– إنني أحاول أن أبذل كل ما في وسعي ..

– إنني واثق من هذا . حسنا .. ما رأيك يا "**لينوكس**" في مدينة "**القدس**"

هذه؟!

فغمغم "**لينوكس**" قائلا :

– لا أعرف .

– إنني أرجو أن أفرغ من رؤية كل شيء في "**القدس**" خلال يومين . لقد تركت مكتب "**كوك**" للسياحة ينظم هذه العملية .. إن مندوبيه سيصحبونني إلى "**الناصرية**" ، و"**بحيرة طبرية**" ، و"**بيت لحم**" ، و"**بحر الجليل**" .. وغير هذا كله . كما أرجو أن أتمكن من زيارة مدينة "**بطرا**" الأثرية النائمة في واد من الصخور الوردية .. إنها بعيدة عن العمران وتحتاج الرحلة إليها ستة أيام على الأقل ، ذهابا وإقامة وإيابا .. ولكنها جديرة بضياع هذا الوقت .

وقالت "**كارول**" :

– لشد ما أتمنى زيارتها ! إن حديثك عنها يا سيد "**كوب**" مشوق جدا ...

فقال السيد "**كوب**" وهو ينظر متسائلا إلى السيدة "**بونتون**" العجوز :

– إن الرحلة شاقة ، وأعتقد أن السيدة "**بونتون**" لا تتحملها ، ولهذا لابد أن يبقى معها بعضكم هنا ، على أن يذهب البعض الآخر لزيارة هذه المدينة التاريخية .. إنها جديرة بالزيارة حقا .

قالت الأم :

– إننا لا نحب أن نفترق أو أن ينفصل بعضنا عن بعض ما رأيكم يا أولاد ..

وجاءت الإجابات سريعة متوالية :

– نعم .. نعم يا أماه ..

ارتسمت ابتسامة غامضة على شفتيها وهي تقول للسيد "**كوب**" :

– أترى . ؟! إنهم يرفضون أن يتركوني ..

ثم نظرت إلى "**نادين**" وأردفت قائلة :

– "**نادين**" إنك لم تقولي شيئا ما رأيك ؟

– إنني لا أريد الذهاب إلى هذه المدينة ، إلا إذا أراد "**لينوكس**"

فقالت الأم وهي تدير رأسها إلى "**لينوكس**" :

– ما رأيك يا "**لينوكس**" ؟ لماذا لا تأخذ "**نادين**" وتذهب إلى "**بطرا**" ! إنها تريد الذهاب كما يبدو ..

أجفل "**لينوكس**" قليلا ، ثم قال متلعثما :

– آه . حسنا .. لا ، لا ، يحسن أن نبقى معا ، جميعا ..

وقال السيد "**كوب**" متلطفا :

– إنكم في الواقع أسرة متماسكة .

وأحس "**جيرار**" ، الذي كان يسمع هذا كله ، أن صوت السيد "**كوب**" المتلطف – كان ينطوي على معان أخرى .. معان جوفاء متكلفة .

وقالت الأم ردا عليه :

– إننا نحب أن نعيش معا بعيدا عن الاختلاط بالغير ..

ثم أردفت قائلة لـ"**ريموند**" :

– وبهذه المناسبة يا "**ريموند**" .. من تلك الشابة الحسناء التي تحدثت إليك منذ قليل .. ؟!

فاضطرب "**ريموند**" واضطرم وجهه وقال متلعثما :

– إنني .. إنني لا أعرف اسمها .. لقد قابلتها مصادفة في القطار ..

وبدأت السيدة "**بونتون**" تنهض ببطء عن مقعدها وهي تقول :

– أعتقد أنه لا داعي للتعرف بها .

ثم أردفت قائلة بلهجة الأمر ! :

– حان وقت النوم .. طاب مساؤك يا سيد "**كوب**" ..

– طاب مساؤك يا سيدة "**بونتون**" .. طاب مساؤك يا سيدة "**لينوكس**" .

سار أفراد الأسرة وراء الأم العجوز في طابور حزين . ولم يخطر ببال أحدهم أن يتخلف عنها ..

وراح السيد "**كوب**" يشيعهم بنظراته وقد ارتسمت على وجهه أمارات غامضة ..

وكان الدكتور "**جيرار**" يعرف من تجاربه أن الأمريكيين – بعكس الإنجليز –

يميلون إلى التعرف بالغير ، لا سيما في أثناء الرحلات خارج الوطن، ومن ثم قرر أن يتعرف بالسيد "**كوب**" ليعرف منه كل ما يمكن أن يعلمه عن هذه الأسرة غريبة الأطوار .

وسرعان ما قدم إليه بطاقته ، وهتف السيد "**جيفرسون كوب**" حين قرأ الاسم :

– الدكتور "**جيرار**" ! أوه .. لقد كنت أستاذا زائرا في جامعات "**أمريكا**" منذ عهد قريب .. أليس كذلك ؟ ..

– بلى .. وكانت آخرها جامعة "**هارفارد**" ..

– أوه .. إنني سعيد بمعرفتك يا دكتور يبدو أن هذا الفندق مزدحم بالشخصيات العالمية . لقد رأيت فيه السيد "**جابرييل ستانيبوم ويلدون**" والسيد "**ماندرز ستوم**" عالم الآثار المشهور والسيدة "**وستولم**" السياسية الإنجليزية المشهورة والمخبر الجنائي **هيركيول بوارو**" .

– أهو هنا .. "**هيركيول بوارو**" القصير ؟ !

– نعم . قرأت في الصحف أنه وصل إلى هنا أمس ..

وفي بهو الفندق ، وأمام كأسين من الشراب ، قال الدكتور "**جيرار**" للسيد "**كوب**" :

– كنت منذ مدة قصيرة تتحدث مع أسرة أمريكية نموذجية !

– نعم .. نعم .. ولكنها ليست نموذجية في رأيي ..

– يبدو أن أفرادها متماسكون ومتفانون في علاقات بعضهم ببعض !

– تعني أنهم يدورون في فلك الأم العجوز ! نعم .. هذه هي الحقيقة . إنها سيدة مدهشة .

– أحقا ؟ ..

شرب السيد "**كوب**" كأسه الثانية وقال :

– إنني لا أجد مانعا من أن أتحدث إليك عن هذه الأسرة ، إنها في الواقع من الأسر التي تثير اهتمام الغير بغرابة سلوك أفرادها . وأرجو ألا أثقل عليك

بالحديث عنها .

– لا .. لا .. مطلقا :

وفي شيء من الارتباك قال السيد "**كوب**" :

– إن السيدة "**بونتون**" صديقة قديمة لي . أعني السيدة "**بونتون**" الشابة زوجة "**لينوكس بونتون**" ، لا السيدة "**بونتون**" العجوز .

– آه .. تعني تلك السيدة الجذابة ذات الشعر الأسود .

– نعم .. إنها "**نادين**" . كنت أعرفها قبل زواجها من "**لينوكس**" كانت يومذاك تتدرب في المستشفى لتظفر بشهادة التمريض . ثم ذهبت إلى قصر آل"**بونتون**" لتقضي إجازتها .. وهناك تزوجت "**لينوكس**" ..

كان المرحوم "**المربونتون**" رجل الأعمال المشهور ، قد تزوج مرتين ، وماتت زوجته الأولى تاركه له "**لينوكس**" في سن العاشرة ، و "**ريموند**" في الخامسة من عمره و "**كارول**" في الثالثة من عمرها ، وكانت زوجته الثانية ، السيدة "**بونتون**" هذه ، جميلة عندما تزوجها "**المربونتون**" ، أي منذ عشرين عاما تقريبا من يراها الآن لا يمكن أن يتصور أنها كانت يوما ما جميلة ، ولكن الذين رأوها في شبابها يؤكدون هذه الحقيقة .

وكانت معروفة بقوة الشخصية والذكاء الحاد والقدرة على مواجهة كل الظروف ومن ثم راح زوجها "**المربونتون**" يعتمد عليها في كل شؤونه ولا سيما بعد أن أمضى السنوات الأخيرة من عمره مريضا في الفراش . وبعد وفاته ، كرست حياتها لتربية أولاده ، وكانت قد أنجبت منه ابنة صغرى ، هي "**جنيفرا**" . أو "**جيني**" تلك الفتاة الرقيقة ذات الشعر الذهبي ، وكما قلت لك يا دكتور "**جيرار**" كرست الأم حياتها لتربية الأبناء ، حجبتهم عن العالم تماما وجعلتهم يعيشون معها في قصر الوالد دون أي اختلاط مع أحد .

وكانت النتيجة أنهم نشئوا .. متوتري الأعصاب ، ضعاف الشخصية ، بلا تجارب ، وبلا أية قدرة على اكتساب الأصدقاء . وهذا الأمر سيئ جدا .

– نعم .. بكل تأكيد ..

– ولكنني لا أشك في أن السيدة "**بونتون**" كانت حسنة النية .

– ألم يحاول أحدهم أن يقوم بعمل ما ؟ . .

– كلا . . مطلقا . . لقد ترك لهم أبوهم ثروة طائلة ، وأوصى بها كلها لزوجته، على أن يتقاسمها أبناؤه – الذكور والإناث – بالتساوي بعد وفاتها.

– وهذا يعني أنهم يعتمدون في معاشهم عليها تماما !

– نعم . . والأسوأ من هذا أن أحدا منهم لم يحاول أن يشغل وقته بعمل أو بهواية ما أو بالرياضة أو التردد على صالات الموسيقى والرقص . صحيح أن "**ريموند**" لا يزال شابا ولا تزال الفرصة أمامه ليبحث عن عمل يرتزق منه . أما "**لينوكس**" ، فإنه قد انتهى . . ضاعت منه كل الفرص ليثبت جدارته بالحياة .

– لا شك أن زوجته غير سعيدة بهذا الوضع .

– بالتأكيد يا دكتور "**جيرار**" . إن "**نادين**" فتاة رائعة ، وأنا شديد الإعجاب بها . . ورغم أنها لا تشكو ، إلا أنها غير سعيدة . . أؤكد لك هذا ! . .

– وماذا في وسعها أن تفعل يا سيد "**كوب**" ؟ . .

– لو كنت مكانها لطلبت من "**لينوكس**" أحد أمرين . . إما أن يعيش كرجل حر، أو أن يطلقها . .

فقال "**جيرار**" باسما :

– لعلها لا تريد أن تنفصل عنه .

– لماذا ؟ إن هناك رجالا كثيرين يتمنون أن يتزوجوا منها . .

– مثلك . . مثلا !!

– نعم . . وأنا لا أخجل من التصريح بهذا . إنني أحترمها وأحبها أشد الحب وأتمنى أن أراها سعيدة . فإذا تأكدت أنها سعيدة مع "**لينوكس**" ، فسوف أختفي من حياتها فورا . .

– وإذا لم تكن في هذه الحالة يجب أن أكون بجانبها ، فإذا احتاجت إليّ ، أسرعت لنجدتها . .

فغمغم "**جيرار**" قائلا :

– أي تعتبر نفسك فارس النجدة المثالي ! .. أعني أنك تتخذ موقف البطل النبيل الذي يضع حياته تحت أمر البطلة دون انتظار لشيء ..
– إنني أريد فقط أن أكون بجانبها عندما تحتاج إلى معونتي ..

- 5 -

كانت "**سارة كنج**" تقف في صحن المسجد الأقصى وتتأمل بإعجاب شديد روعة بنائه ، وعظمة قبته المشيدة على صخرة مرتفعة ، وجمال نقوشه . سمعت وقع أقدام كثيرة في الجانب الآخر ، فلما استدارت ، شاهدت أسرة "**بونتون**" ومعها المرشد السياحي الذي كان يشرح لها روعة هذا المسجد الأثري الجميل . وكانت السيدة "**بونتون**" العجوز تسير معتمدة على ذراعي "**لينوكس**" و "**ريموند**" ، وكانت "**نادين**" والسيد "**كوب**" الأمريكي يسيران وراءهم ، أما "**كارول**" ، فكانت في المؤخرة .
لمحت "**كارول**" "**سارة**" ، فوقفت مترددة ، ثم أسرعت وتقدمت منها خلسة عن بقية الأسرة ، وهمست لها قائلة :
– معذرة .. يجب أن أعتذر إليك ..
– لماذا ؟ ..
– عن أخي "**ريموند**" . لا شك أنك استأت منه بسبب موقفه معك أمس حين تحدثت إليه . أرجو أن تلتمسي له العذر .. إنه لم يتعمد أن يتجاهلك .. أبدا ..
شعرت "**سارة**" بغرابة الموقف ، لماذا تحاول هذه الفتاة أن تعتذر ، بمثل هذه اللهفة ، عن تصرفات أخيها نحوها .. نحو فتاة غريبة عنه تماما ! ..
قالت للفتاة وقد شعرت بغريزتها أن هناك شيئا غير طبيعي في الموقف بأجمعه :
– ولماذا تعتذرين عن سلوك أخيك ؟

– لقد تحدث أخي معك في القطار .. أليس كذلك ؟

– بلى .. أو على الأصح أنا التي تحدثت إليه ..

– ومع هذا لاحظت أن أخي كان خائفا من الحديث معك أمس !

– خائفا !! ..

اضطرم وجه "**كارول**" بعد أن كان شاحبا وقالت :

– إن الأمر يبدو غريبا ! ولكن .. إن أمي .. إنها ليست على ما يرام ، وهي تكره أن نختلط بأحد خارج محيط الأسرة .. ولكنني أعرف أن أخي "**ريموند**" يحب أن يتعرف بك .

وقبل أن ترد "**سارة**" ، استطردت "**كارول**" قائلة بلهفة :

– أعرف أنني سأبدو في نظرك بلهاء .. ولكننا أسرة غريبة الأطوار .

ثم تلفتت حولها وأردفت قائلة :

– يجب أن أنصرف بسرعة قبل أن تكتشف أمي غيابي ..

قالت "**سارة**" وقد عقدت عزمها على شيء :

– لماذا لا تمكثين معي إذا كانت هذه رغبتك ؟ ماذا يمنعك من أن تسيري معي قليلا في الخارج ؟

– أوه .. لا .. لا .. لا أستطيع أن أفعل هذا ..

– لماذا ؟ ..

– لأن أمي .. أمي ..

سكتت ، ثم قالت بهدوء :

– أنا أعرف أن من العسير على الأمهات أحيانا أن يدركن أن أبناءهن قد كبروا وأصبح في مقدورهم الاعتماد على أنفسهم . ولكن من الخطأ الشديد أن يستسلم الإنسان لمثل هذه النزوات . يجب على الابن أو الابنة في سن معينة أن تدافع عن حقوقها المشروعة .

فغمغمت "**كارول**" قائلة :

– إنك .. إنك لا تعرفين حقيقة الظروف التي نعيش فيها ..

– مهما تكن هذه الظروف ، فإن لكل إنسان قدرا معينا من حرية التصرف ، وإن عليه أن يدافع عن هذا القدر بكل ما يملك .

– الحرية ، إننا لا نعرف ما هي هذه الحرية ..

– إنني لا أصدق هذا ..

– اسمعي .. يجب أن أحاول أن أشرح لك الأمر . لقد كانت أمي قبل زواجها من أبي ، إنها في الواقع ليست أمي وإنما زوجة أبي فقط ، كانت سجانة في سجن بـ"**نيويورك**" وكان أبي مديرا لهذا السجن قبل أن يتزوجها ويستقيل ويشتغل بالأعمال الحرة . حسنا .. ومنذ تزوجت أبي وهي تمارس معنا مهنتها السابقة .. تعاملنا كما يعامل السجان المسجونين . وهذا ما يجعلنا نشعر أننا نعيش في سجن .

ثم تلفتت وراءها وقالت بسرعة :

– إنهم سيفتقدونني .. يجب أن أعود بسرعة ..

أمسكت "**سارة**" بذراعها قبل أن تنفلت وقالت هامسة :

– انتظري لحظة .. يجب أن نلتقي مرة أخرى ونتحدث .

– لا .. لا أستطيع ..

– بل تستطيعين .. تعالي إلى غرفتي بعد أن تأوي إلى فراشها ، إنني في الغرفة رقم 319 .. لا تنسي هذا الرقم ..

تركت ذراعها ، وانفلتت "**كارول**" عائدة إلى أسرتها .

شردت أفكار "**سارة**" وهي تشيع الفتاة بنظراتها ثم تنبهت على صوت الدكتور "**جيرار**" وهو يقول بجانبها :

– طاب صباحك يا آنسة "**كنج**" . إذن فقد كنت تتحدثين مع الآنسة "**كارول بونتون**" ؟

– نعم .. لقد تبادلنا أغرب محادثة يمكن أن تتصورها دعني أسردها عليك .

ولما فرغت من سرد مضمون المحادثة عليه ، قال "**جيرار**" معلقا على نقطة مهمة في الحديث :

– إذن فقد كانت سجانة .. تلك الخرتيتة القبيحة إن هذا يفسر تصرفاتها القاسية مع أفراد الأسرة .

– هل تعني أن عملها السابق كسجانة هو السبب في طغيانها ؟

– لا .. وإنما العكس هو الصحيح .. إنها لا تحب الاستبداد والطغيان لأنها كانت سجانة ، وإنما حبها الغريزي للاستبداد والطغيان هو الذي دفعها للاشتغال بهذا العمل ، في رأيي أنها امتهنت هذا العمل بدافع غريزي للسيطرة على غيرها من البشر وأنا واثق من أنها تستمد سعادتها من رؤية الآخرين يتعذبون ، وكلما كان عذابهم نفسيا وفكريا ، كانت سعادتها أشد .

وأخبرها "**جيرار**" بحديثه مع السيد "**كوب**" الأمريكي ، وعندئذ قالت "**سارة**" مفكرة :

– هذا يعني أنه لا يعرف حقيقة ما يجري في محيط هذه الأسرة .

– وكيف يمكنه أن يعرف وهو ليس عالما نفسيا !

– صدقت .. إنه أمريكي عادي ينظر إلى الحياة من زواياها الواضحة المألوفة ، إنه يؤمن بالخير دون الشر ، ويعتقد أن أسرة "**بونتون**" من الأسر النموذجية المترابطة بوشائج الحب والوفاء . وهو يعتقد أن تصرفات السيدة "**بونتون**" نحو أفراد أسرتها نابعة من حبها لهم ، ورغبتها في حمايتهم من شرور الغير .

– أعتقد هذا .

– ولكن لماذا لا يحاولون الهرب منها ؟ إن هذا في مقدورهم لو أرادوا .

– لا .. إنهم لا يستطيعون . لقد بذرت في نفوسهم منذ الطفولة الإيمان بأنهم لا يستطيعون الحياة دون رعايتها وحمايتها ، لقد عرفت بقوة شخصيتها كيف تسيطر على أفكارهم وتخضعها لإرادتها . إنهم الآن كالنائمين مغناطيسيا الذين لا يستطيعون إلا أن ينفذوا رغبات المنوم . وإن طول إقامتهم في سجن شخصيتها جعلهم عاجزين عن محاولة الخروج من هذا السجن حتى لو كانت أبوابه مفتوحة أمامهم .

وصمت "**جيرار**" برهة قبل أن يردف قائلا :

– وإن واحدا منهم . على الأقل ، فقد الرغبة تماما في التحرر .. إنه المسكين "**لينوكس**" .

فقالت "**سارة**" في ضيق :

– كان ينبغي على زوجته "**نادين**" أن تفعل شيئا من أجله كان يجب أن تدفعه إلى تحطيم قيوده والخروج إلى الحياة الواسعة .

– من يدري ! . لعلها حاولت هذا وفشلت ..

– أتعتقد أنها أيضا خاضعة لسيطرة هذه الشيطانة ؟

– لا .. لا أعتقد أن للمرأة الطاغية سيطرة عليها ، ولهذا فإنها تحقد عليها حقدا قاتلا .. راقبي نظراتها إليها .

وفجأة قالت "**سارة**" بحماس :

– إذن هذه المرأة العجوز يجب أن تقتل .. وإني لأنصح بأن توضع لها كمية من الزرنيخ في قدح شاي الصباح ثم أردفت قائلة بلهجة جادة :

– وماذا عن الابنة الصغرى ، ذات الشعر الذهبي ، والابتسامةالذاهلة ؟

قطب "**جيزار**" جبينه وقال :

– إنني لا أدري .. فالواقع أن الأمر هنا يختلف وإن كان شاذا أيضا، إنها ابنة المرأة العجوز .. ابنتها الحقيقية .

– نعم .. وهذا يجعل الموقف معها يختلف ..

– لا أظن أنه يختلف كثيرا .. بل لعل سيطرة الأم على هذه الابنة أقوى من سيطرتها على بقية أفراد الأسرة ..

تساءلت "**سارة**" في نفسها بعد أن تجاوزت الساعة منتصف الليل :

– ترى هل ستأتي "**كارول**" كما طلبت منها ؟

وبينما هي تشغل نفسها بإعداد قدح من الشاي قبل أن تأوي إلى الفراش ، إذا بباب الغرفة يفتح وإذا بـ"**كارول**" تدخل على أطراف أصابعها وتقول بأنفاس لاهثة :

– كنت أخشى أن أجدك نائمة ..

فقالت "**سارة**" بصوت هادئ :

– إنني في انتظارك .. تعالي واشربي معي قدحا من الشاي .

قالت "**كارول**" بعد أن هدأت نفسها :

– هل تتصورين أننا لم نذهب في حياتنا إلى مدرسة ؟

– إلى هذا الحد ؟ ..

– نعم كان المدرسون الخصوصيون يعلموننا في البيت ، بل إننا لم نر الدنيا إلا في هذه الرحلة فقط .

– لا شك أنكم سعداء بها جدا ..

– أوه .. جدا جدا .. إننا نعيش كأننا في حلم جميل . وكل ما نخشاه أن نستيقظ بعد أيام ونجد أنفسنا داخل السجن مرة أخرى .

– ولكن .. ما دمتم غير سعداء في الحياة مع هذه الأم فلماذا لا تنفصلون عنها؟

فقالت "**كارول**" بخوف :

– أوه .. لا .. كيف يمكننا هذا ؟ أعني .. إنها لن تسمح لنا بهذا أبدا .

– ولكنها لا تستطيع أن تمنعكم .. إنكم قد بلغتم جميعا سن الرشد .

– إنني في الثالثة والعشرين من عمري ..

– تماما ! ..

– ومع ذلك فإنني لا أدري أين أذهب .. أو ماذا يمكن أن أفعل خارج البيت ..

ورأت "**سارة**" أن تغير الموضوع بعد أن أشفقت على الفتاة المعذبة ، ومن ثم قالت :

– هل تحبين زوجة أبيك هذه ؟ ..

هزت "**كارول**" رأسها ببطء وقالت بصوت هامس مرتعد بالخوف :

– إنني أكرهها .. وكذلك "**ريموند**" .. وكثيرا ما تمنينا موتها .

ومرة أخرى غيرت "**سارة**" الموضوع فقالت :

– حدثيني عن أخيك الأكبر .

– "**لينوكس**" ؟ .. إنني لا أدري ماذا دهى "**لينوكس**" ! إنه لا يستطيع أن ينطق بكلمة الآن .. إنه يعيش كأنه في حلم أو في يقظة حالمة .. وإن زوجته "**نادين**"لتشعر بالقلق البالغ من أجله ..

– إنك تحبين زوجة شقيقك . أليس كذلك ؟

– بلى .. إن "**نادين**" مختلفة عن زوجة أبي . إنها دائما عطوف ورقيقة وهي أيضا ليست سعيدة ..

وصمتت "**كارول**" برهة قبل أن تستطرد قائلة :

– إنني لا أعتقد أن زوجة أبي تحب "**نادين**" ، إن "**نادين**" غريبة الأطوار بعض الشيء ، وأهم ما يميزها أنك لا تعرفين حقيقة مشاعرها .. إن وجهها لا ينم عما يجري في داخل نفسها أو عقلها .. وقد حاولت كثيرا أن تساعد أختنا الصغرى "**جيني**" على احتمال هذه الحياة ، ولكن زوجة أبي كانت تضيق بهذه المساعدات وترفضها .

– تقصدين "**جنيفرا**" ، أختك الصغرى ؟ ..

– نعم .. "**جنيفرا**" .. إنها أختنا من أبينا .

– وهل هي غير سعيدة أيضا ؟

– إن "**جيني**" تبدو غير عادية في الأيام الأخيرة ، وأنا لم أعد أفهمها إنها كما ترين رقيقة مرهفة ، وإن أمها تهتم بها أكثر من اللازم ، وهذا يزيد من سوء حالتها ومن شعورها بالقيد ..

وفجأة نهضت "**كارول**" قائلة :

– يجب ألا أزعجك أكثر من هذا . إنني شاكرة لك هذه الفرصة التي أتحت لي فيها الحديث معك . ولا شك أنك ستعتقدين أننا أسرة عجيبة جدا .

فقالت "**سارة**" برقة :

– إن كل إنسان لا يخلو من غرابة الأطوار في كثير من الحالات . أرجو أن تزوريني مرة أخرى .. ويمكنك أن تصحبي أخاك "**ريموند**" إذا شئت ..

فهتفت "**كارول**" بابتهاج :

– هل يمكنني هذا حقا ؟ . .

– نعم . . سوف ندبر أمر مساعدتكم سرا . وأرجو أن أقدمكم إلى صديق لي . . الدكتور "**جيرار**" . . إنه طبيب فرنسي مشهور .

اضطرم وجه "**كارول**" وهي تقول :

– ما أجمل هذا وأروعه . . ولكنني أخشى أن تكتشف زوجة أبي أمرنا . .

كادت "**سارة**" تنطق بعبارة قاسية ضد تلك المرأة الطاغية ، ولكنها كتمت مشاعرها وقالت بهدوء :

– وكيف يمكنها أن تعرف ؟طابت ليلتك يا عزيزتي "**كارول**" . غدا في مثل هذا الوقت نلتقي مرة أخرى .

– نعم . . نعم . . لأننا قد نرحل بعد غد .

– إذن فليكن لقاؤنا غدا في مثل هذا الوقت بالتأكيد . طابت ليلتك . .

– طابت ليلتك . . وشكرا جزيلا . .

وبوجه كله السعادة والرضا غادرت "**كارول**" الغرفة بهدوء ، وسارت في الممر، ثم صعدت الدرجات إلى الطابق الأعلى حيث تقع غرفتها . وما كادت تفتح الباب وتدخل حتى تسمرت في مكانها من فرط الرعب . .

لقد رأت زوجة أبيها ، بسمتها المفزع جالسة في مقعد وثير بجوار المدفأة وقد ارتدت ثوبا قرمزيا ضاعف من بشاعة منظرها .

تركزت نظرات السيدة "**بونتون**" النارية على وجهها وهي تقول لها :

– أين كنت ؟ . .

– أنا . . أنا – كنت . . أنا . .

– أين كنت ؟ . .

ارتعدت "**كارول**" وهي تسمع هذا الصوت الذي يشبه فحيح الأفعى ، ولم يسعها إلا أن تعترف قائلة :

– كنت أزور الآنسة "**كنج**" . . "**سارة كنج**" . .

– أهي نفس الفتاة التي تحدثت إلى "**ريموند**" هذا المساء ؟

– نعم يا أماه . .

– هل اتفقتما على اللقاء مرة أخرى ؟

وتحركت شفتا "**كارول**" بكلمة "نعم" دون أن يصدر الصوت . وقالت السيدة "**بونتون**" :

– متى ؟ . .

– غدا في مثل هذا الوقت .

– عليك ألا تذهبي . . هل تفهمين ؟

– نعم يا أماه . .

– عديني بهذا . .

– أعدك يا أماه . .

نهضت السيدة "**بونتون**" بمشقة من مقعدها ، وأسرعت "**كارول**" آليا إلى مساعدتها ، فقالت العجوز وهي تغادر الغرفة متوكئة على عصاها :

– عليك ألا تتصلي بهذه الآنسة "**كنج**" إطلاقا . . أتفهمين ؟ !

– نعم يا أماه . .

- 6 -

– هل أستطيع أن أتحدث معك لحظة ؟

استدارت "**نادين**" بسرعة حين سمعت هذه العبارة وإذ هي تجد نفسها في مواجهة شابة مجهولة لديها تماما ، وإن كانت على جانب كبير من الجمال .

قالت "**نادين**" آليا وهي تتلفت حولها في قلق :

– نعم . . نعم . . بالتأكيد

– إن اسمي "**سارة كنج**" . .

– أوه حسنا . .

– السيدة "**لينوكس**" . . لسوف أخبرك بأمر عجيب . . لقد تحدثت مع أخت زوجك مدة طويلة الليلة قبل الماضية .

وطافت سحابة قلق بوجه "**نادين**" وهي تقول :

– تحدثت . . مع "**جيني**" ؟

– لا . . مع "**كارول**" . .

انقشعت سحابة القلق من وجه "**نادين**" ثم قالت في شيء من الارتياح :

– أوه . . فهمت . . مع "**كارول**" . . ولكن كيف أمكنك هذا ؟

– جاءت إلى غرفتي بعد منتصف الليل . .

وارتفع حاجبا "**نادين**" في دهشة ثم قالت :

– لا شك أن هذا التصرف كان غريبا في نظرك يا آنسة "**كنج**" ؟ . .

– لا . . لأنني أنا التي دعوتها . .

– أوه . . ما أسعدني بهذا . . إنني سعيدة بصداقتك لـ"**كارول**" . . .

– لقد تفاهمنا معا بسرعة . . واتفقنا على اللقاء مرة أخرى في الليلة الماضية . . ولكن "**كارول**" لم تأت . .

– لم تأت ؟ ! . .

– نعم . . وقد مررت بها أمس في بهو الفندق وتحدثت إليها همسا لأذكرها بالموعد ، ولكنها لم تجب علي ، وإنما نظرت إليّ بسرعة ، ثم استدارت واندفعت بعيدا عني . .

– أهكذا ؟ ! . .

ولم تستطع "**سارة**" أن تستمر في حديثها . . ومن ثم قالت "**نادين**" :

– إن "**كارول**" فتاة مرهفة الأعصاب جدا . .

– إنني طبيبة يا سيدة "**لينوكس**" ، ولهذا أرى أن انعزال أخت زوجك عن المجتمع يضرها نفسيا وبدنيا .

– شكرا . .

ولكن . هل أدركت ما أعني ؟

– نعم .. ولكن حماتي في حالة صحية سيئة ، وهي تكره أشد الكراهية أن يتدخل الغرباء في شؤوننا الخاصة ..

– ولكن "**كارول**" فتاة رشيدة .. من حقها أن تتصرف كما تشاء ..

فهزت "**نادين**" رأسها وقالت :

– إنها بالغة الرشد سنا وجسما .. أما عقلا ، فلا ، ولعلك لاحظت هذا في أثناء حديثك معها . إنها في حالات الطوارئ تتصرف كطفل خائف .

– هل تعتقدين أن هذا ما حدث ؟ ! هل امتلأ قلبها خوفا فلم تحضر في الموعد؟ !

– يبدو لي يا آنسة "**كنج**" أن حماتي اكتشفت علاقتك بها فحرمت عليها الحديث معك ..

– وهل استسلمت "**كارول**" لأوامرها ؟

– هل يمكنك أن تتصوري أن في مقدور "**كارول**" أن تفعل غير هذا ؟ ! ..

وأدركت "**سارة**" من نظرات "**نادين**" أنها ليست على استعداد لمواصلة الحديث في هذا الموضوع ، كما أدركت أنها خسرت أول جولة ضد المرأة الطاغية .

وصاحت في النهاية :

– إن هذا كله خطأ .. خطأ .

ولم تقل "**نادين**" شيئا .. ولكن نظراتها كانت تدل على أنها تعرف هذه الحقيقة وتعرف أيضا أنه لا أمل في إصلاح هذا الخطأ ..

فتح باب المصعد الذي كانتا واقفتين أمامه ، وخرجت منه السيدة "**بونتون**" متوكئة على عصاها ، ومعتمدة على ذراع "**ريموند**" . وأجفلت "**سارة**" قليلا حين رأت نظرات المرأة العجوز تنتقل من وجهها إلى وجه "**نادين**" .. وأسرعت هذه إلى حماتها وشقيق زوجها تاركة "**سارة**" واقفة بمفردها ..

وقالت السيدة "**بونتون**" لـ "**نادين**" :

– أهذه أنت يا "**نادين**" ؟ حسنا .. لسوف أجلس وأستريح قليلا قبل أن أخرج ..

جلست "**نادين**" بجوارها تنصت إليها وهي تسألها قائلة :

– مع من كنت تتحدثين يا "**نادين**" ؟ ..

– مع نزيلة هنا تدعى الآنسة "**كنج**" ..

– آه .. الفتاة التي تحدثت مع "**ريموند**" في تلك الليلة ! حسنا لماذا . لماذا لا تذهب وتتحدث معها يا "**ريموند**" الآن ؟ ! إنها هناك عند مائدة الكتابة في قاعة المكتبة .

ارتسمت على وجه العجوز ابتسامة خبيثة وهي تتأمل "**ريموند**" . وكان وجه الشاب قد اضطرم بشدة وأشاح برأسه وهو يتمتم بكلمات غامضة .

– لماذا لا تجيب يا ولدي ؟ ..

– إنني لا أريد أن أتحدث معها ..

– أحقا إنك لا تريد أن تتحدث معها ؟ أم إنك لا تستطيع رغم لهفتك إلى الحديث معها ؟ ..

ثم أخذتها نوبة سعال حاد .. فلما هدأت قالت لـ"**نادين**" :

– إني مستمتعة بهذه الرحلةِ يا "**نادين**" . وما كنت لأحرم نفسي منها بأي ثمن ..

– حسنا يا أماه ..

– "**ريموند**" ! ..

– نعم يا أماه ! ..

– أحضر لي ورقة كتابة من مائدة الكتابة التي في قاعة المكتبة .

مضى "**ريموند**" مطيعا .. وراحت "**نادين**" ترقب المرأة العجوز وهي تتأمل "**ريموند**" بنظرات أفعوانية وابتسامة خبيثة . وسار "**ريموند**" بجوار "**سارة**" ورفعت هذه وجها مشرقة بالأمل . ولكن الأمل انطفأ فجأة حين مضى "**ريموند**" في طريقه حيث تناول بضع أوراق بيضاء ، وعاد بها إلى زوجة أبيه وقد شحب

وجهه وتصبب العرق على جبينه ..

تنهدت المرأة العجوز بارتياح وهي تتأمل وجه الشاب وفجأة رأت نظرات "**نادين**" مركزة عليها . فاستشاطت غضبا وقالت :

– لقد نسيت أن أتناول نقط القلب .. هاتيها يا "**نادين**" ..

– بكل تأكيد ..

عبرت "**نادين**" البهو إلى المصعد وشيعتها السيدة "**بونتون**" بنظرات أفعوانية، أما "**ريموند**" ، فقد ظل جالسا ووجهه ناطق باليأس العميق .

صعدت "**نادين**" إلى الطابق العلوي ، وسارت في الممر وعبرت غرفة الجلوس في جناح الأسرة ، ورأت "**لينوكس**" جالسا في صمت بجوار النافذة، وقد فتح بين يديه كتابا يقرأ فيه . ولما شاهد "**نادين**" قال متنبها من شرود أفكاره :

– آه .. "**نادين**" ؟ ..

– لقد جئت لأحضر نقط القلب لوالدتك .. إنها نسيتها ..

دخلت غرفة نوم السيدة "**بونتون**" ، وهناك وضعت في نصف كوب ماء عدد النقط المطلوبة تماما من زجاجة صغيرة ولما عادت إلى غرفة الجلوس ، توقفت وقالت :

– "**لينوكس**" ! ..

مرت برهة قبل أن يجيب ، وكأن نبرات صوتها كانت تأتي إليه من بعيد .

وضعت "**نادين**" الكوب بعناية على منضدة قريبة ، ثم وقفت بجوار زوجها وقالت له :

– "**لينوكس**" .. انظر إلى ضوء الشمس .. هناك .. خارج النافذة .. انظر إلى الحياة .. أليست جميلة .. في مقدورنا أن نستمتع بها بدلا من بقائنا في هذا المكان .

فقال ببلادة :

– إنني آسف .. هل تريدين أن نخرج لنتمشى قليلا ؟ ..

فقالت بسرعة :

– نعم .. أريد أن أخرج معك لنتمشى في الحياة .. لنعيش حياتنا سعيدين في أي مكان ..

فانكمش في مقعده ، وبدت في عينيه نظرات الطائر الذي وقع في الشبكة ، ثم قال :

– "**نادين**" .. يا عزيزتي .. هل يجب أن نعود إلى الحديث في هذا الأمر مرة أخرى ؟

– نعم يجب .. يجب أن نمضي لنعيش حياتنا في مكان ما .

– كيف يمكن هذا ونحن بلا مال ؟..

– يمكننا أن نكسب ما نحتاج إليه من مال ..

– كيف يمكننا هذا . ماذا أستطيع أن أفعل ؟ إنني لا أحسن القيام بعمل لكسب المال .. إنني بلا مؤهلات .. وهناك آلاف من الشبان والرجال المؤهلين للعمل لا يجدون أعمالا .. فكيف أستطيع أنا ؟! ..

– سوف أكسب ما نحتاج إليه كلانا ..

– يا طفلتي العزيزة .. إنك لم تظفري بشهادتك في التمريض .. إن هذا هو المستحيل .. ليس أمامنا أمل ..

– لا .. إن حياتنا هذه هي المستحيلة .. هي التي لا أمل فيها ..

– إنك لا تعرفين ماذا تقولين، إن أمنا تعاملنا بكرم إنها تحيطنا بكل ألوان الترف..

– إلا الحرية .. "**لينوكس**" . يجب أن تحاول .. تعال معي اليوم .. الآن ..

– "**نادين**" .. هل جننت ؟

– لا .. إنني عاقلة . عاقلة تماما . إنني أريد الحياة أريد أن أنعم بالحرية معك.. في ضوء الشمس .. مع الناس ... وليس في ظل هذه الطاغية .. بيني وبين زوجة أبيك معركة حياة أو موت .. ستقف بجانبي أم بجانبها ؟

– بجانبك بالتأكيد ..

– إذن افعل ما أطلبه منك ..

– هذا مستحيل ..

– لا .. ليس مستحيلا يا "**لينوكس**" .. إننا لم نعد أطفالا ، بل إن في إمكاننا الآن أن ننجب أطفالا ..

– إن أمي تريد هذا .. وقد تمنته كثيرا ..

– أنا أعرف .. ولكنني لن أنجب أطفالا ليعيشوا معنا في هذا السجن إن أمك تستطيع أن تؤثر عليك . ولكنها لا تستطيع هذا معي ..

فغمغم "**لينوكس**" قائلا :

– إنك تثيرين غضبها أحيانا .. وليس هذا من الحكمة في شيء .

– إنها تغضب حين تتبين عجزها عن السيطرة على أفكاري ..

وبعد برهة صمت قالت :

– هل ترفض إذن أن تخرج معي من هذا السجن إلى الحياة ، حسنا إنني لن أرغمك . ولكنني حرة في الخروج منه وأعتقد أن هذا ما سوف أفعله ..

فحملق إليها مبهوتا وتمتم قائلا في تلعثم :

– ولكن .. ولكن أمي لن توافق على هذا ..

– إنها لن تستطيع أن تمنعني ..

– ومن أين لك المال ؟ ..

– سوف أقترضه أو أستجديه أو أسرقه .. وعليك أن تفهم يا "**لينوكس**" أنه ليس لأمك أي سلطان عليّ . إنني أستطيع أن أمضي أو أبقى حسب رغبتي ، وقد بدأت أشعر أنني لم أعد أطيق البقاء هنا أكثر من هذا ..

– "**نادين**" .. لا تتركيني .. أرجوك .. لا تتركيني ..

وعاد يكرر ذلك حين رآها تنظر إليه مفكرة دون أن يعبر وجهها عن شيء .

كان ملهوفا كطفل خائف .. وأشاحت بوجهها حتى لا يرى الألم العميق الذي ارتسم في عينيها .

وركعت هي بجانبه قائلة :

– إذن تعال معي .. تعال معي .. إنك تستطيع ، نعم ، إنك تستطيع لو

أردت . .

ولكنه تراجع عنها بعيدا وتمتم قائلا :

– لا أستطيع . . ليست لي الشجاعة على مواجهة الحياة . .

- 7 -

عندما دخل الدكتور "**جيرار**" مكتب "**كاسل**" للسياحة ، وجد "**سارة كنج**" واقفة هناك . . وقد بادرته قائلة بعد أن ألقت عليه تحية الصباح :

– إنني أتفق مع مدير المكتب على رحلة إلى مدينة "**بطرا**" الأثرية . وقد بلغني أنك ذاهب إليها أيضا . .

– نعم . . لقد وجدت أن في مقدوري الذهاب إليها .

– إنني سعيدة بهذا . .

– ترى هل ستكون جماعة كبيرة العدد ؟ . .

– يقولون إن هناك امرأتين أخريين . . وأنت وأنا والمرشد السياحي في سيارة واحدة . .

فانحنى "**جيرار**" وقال :

– إنني سعيد بهذا أيضا . .

ثم التفت إلى مدير المكتب وأتم إجراءات القيام بالرحلة ، وبعد قليل عاد وانضم إلى "**سارة**" وهو يمسك ببريده الخاص ، ثم غادر المكتب إلى الخارج حيث كان الجو صافيا والهواء منعشا وإن كان على شيء من البرود . .

وسألها "**جيرار**" قائلا :

– ماذا وراءك من أنباء عن أصحابنا آل "**بونتون**" ! لقد أمضيت هذه الأيام الثلاثة الأخيرة في رحلة إلى "**بيت لحم**" و"**الناصرية**" وغيرهما من الأماكن التاريخية .

وراحت "**سارة**" تسرد عليه مجهوداتها الفاشلة لتوطيد علاقتها ببعض أفراد أسرة "**بونتون**" ، ثم اختتمت حديثها قائلة :

– ولكنني فشلت في محاولاتي على أية حال ، وسوف يرحلون عن الفندق اليوم .

– إلى أين ؟ ..

– لا أعرف ..

ثم أردفت قائلة باستياء :

– إنني أشعر بحماقتي في تصرفاتي مع هذه الأسرة ..

– لماذا ؟

– إن محاولة التدخل في شؤون الغير حماقة كبرى ..

فهز "**جيرار**" كتفيه وقال :

– العبرة بالهدف من هذا التدخل، وإذا كان الهدف خيرا ، فلا بأس . وأعتقد أنك أردت التدخل في شؤون هذه الأسرة بدافع من العطف على بعض أفرادها البؤساء .

– ولكنني لم أنجح في شيء ..

– وماذا لو أنك واصلت مجهوداتك ؟ ..

– وهل تعتقد أن هناك أملا لي في مساعدة "**ريموند**" ؟

– نعم ..

تنهدت "**سارة**" وقالت :

– كان يجب أن أواصل المحاولة .. ولكن الوقت قد فات ..

كان بهو الفندق مسرحا لنشاط كبير بسبب استعداد عدد من النزلاء للقيام ببعض الرحلات إلى الأماكن الأثرية . وأمام باب الفندق الكبير كان ثمة عدد من السيارات المحملة بالأمتعة تتأهب للانطلاق وكان "**لينوكس بونتون**" وزوجته "**نادين**" والسيد "**كوب**" واقفين أمام سيارة فارهة ، يشرفون على إعدادها للرحيل ..

وفي البهو رأت "**سارة**" السيدة "**بونتون**" جالسة في مقعد وملتفة بمعطف كبير في انتظار البدء بالرحيل . وشعرت باشمئزاز غريب وهي تنظر إلى تلك المرأة التي بدت لها كرمز للشر والقسوة .

وفجأة أحست بالعطف عليها .. لقد تذكرت أن هذه المرأة ولدت هكذا .. وأن الميل الشديد إلى السيطرة والاستبداد نشأ معها منذ طفولتها وأن على الإنسان أن يلتمس لها بعض العذر وأن يشفق عليها ويحاول أن يفهم ظروفها . ولو أن أبناءها . أو أبناء زوجها على الأصح نظروا إليها بعيني "**سارة**" في تلك اللحظة لأشفقوا عليها ورثوا لحالها .. لأن "**سارة**" كانت تراها من زاوية جديدة جعلت المرأة في نظرها مخلوقة تستحق العطف والرثاء .. مخلوقة حمقاء ، شريرة بطبعها عجوزا سيئة الصحة ..

تقدمت "**سارة**" نحوها بجرأة وقالت لها :

– طاب يومك يا سيدة "**بونتون**" . أرجو أن تكوني قد استمتعت برحلة جميلة .

ألقت المرأة عليها نظرات امتزج فيها الشر مع الغضب المكبوت ، ثم أشاحت بوجهها دون أن تجيب . وهنا قالت "**سارة**" :

– إنك تعاملينني بخشونة لا مبرر لها يا سيدة "**بونتون**" ..

وقالت لنفسها :ما هذه الحماقة يا "**سارة**" .. مالك أنت وهذه المرأة الغريبة عنك ؟" .

وهنا استطردت قائلة للمرأة العجوز :

– إنك تحاولين أن تمنعيني من صداقة "**ريموند**" و "**كارول**" ألا تدركين أن هذه محاولة صبيانية حمقاء ؟ إنك تريدين أن تجعلي من نفسك صنما يعبد ، ولكنك في الواقع مخلوقة جديرة بالرثاء والشفقة ، ولو كنت منك لتخليت عن كل هذه الحركات المسرحية ، ولاشك أنك ستزدادين كراهية لي بسبب هذه الصراحة . ولكنني لست نادمة ، لأنني أرجو أن تعيدي النظر في تصرفاتك وتحاولي أن تسعدي نفسك بإسعاد الناس حولك ..

توقفت "**سارة**" عن الحديث برهة . وكانت السيدة "**بونتون**" قد تجمدت في مقعدها ، وبذلت محاولات عديدة لتقول شيئا ، ولكن لسانها ظل يلعق شفتيها الجافتين دون أن تتمكن من قول عبارة واحدة بصوت مسموع .

وعادت "**سارة**" تقول في تحد :

– تكلمي .. قولي ما شئت .. إنني لن أهتم بما ستوجهينه إليّ من عبارات قاسية ، ولكن لا تنسي أن تفكري دائما فيما قلت لك .. حاولي أن تستمدي سعادتك من إسعاد الذين حولك ..

وأخيرا خرجت الكلمات من شفتي المرأة في صوت خافت متحشرج نافذ وكانت نظراتها وهي تتكلم غير مركزة على وجه "**سارة**" ، وإنما إلى لا شيء ، وكأنها كانت تتحدث إلى شبح ..

– "إنني لا أنسى أبدا .. تذكري هذا .. إنني لا أنسى شيئا أبدا . لا أنسى تصرفا ، ولا اسما ، ولا وجها ..

ولم تكن الكلمات نفسها تعبر عن شيء معين ، ولكن الصوت كان رهيبا مفزعا .. وكانت الضحكة الجوفاء التي أعقبته أشد رهبة وإفزاعا مما جعل "**سارة**" تتراجع خطوة ، ثم تقول وهي تهز كتفيها :

– يا لك من مخلوقة عجوز بائسة ! .

واستدارت عنها إلى المصعد ، وبينما هي تتجه إليه ، إذا بها تكاد تصطدم بـ"**ريموند**" ، وإذا هي تقرر فجأة أن تتحدث إليه ، فقالت باسمة :

– طاب صباحك .. أرجو أن تكون قد نعمت بإقامتك هنا . ولعلنا نلتقي مرة أخرى ذات يوم .

ثم مرقت بجانبه في سرعة . وتسمر "**ريموند**" في مكانه وقد استغرق تماما في أفكاره بحيث لم يستطع أن يفسح الطريق للرجل القصير الأصلع ذي الشارب الكبير الذي كان يحاول مغادرة المصعد في تلك اللحظة أكثر من مرة وقال الرجل القصير لـ "**ريموند**" :

– عن إذنك ..

تراجع "**ريموند**" وقد أفاق فجأة ثم قال :

– معذرة . . لقد كنت مشغول الفكر .

وأقبلت "**كارول**" عليه وقالت له :

– "**ريموند**" . . اذهب وعد بـ"**جيني**" . . لقد صعدت إلى غرفتها ولم تعد بعد . .

– حسنا . . لسوف أخبرها بأننا أوشكنا أن نرحل . .

تقدم "**ريموند**" إلى المصعد، ووقف الرجل القصير الأصلع ؛ "**هيركيول بوارو**" – ينظر إليه برهة وقد رفع حاجبيه ، ومال قليلا برأسه كأنما ينصت إلى شيء . .

وأخيرا أومأ برأسه كأنما رضي عن شيء ما ، ثم مضى إلى البهو ونظر بإمعان إلى "**كارول**" التي انضمت إلى زوجة أبيها . .

أشار "**بوارو**" إلى أحد خدم الفندق ، ثم سأله وهو يومئ برأسه إلى السيدة "**بونتون**" و "**كارول**" :

– هل يمكن أن تخبرني باسم هذه السيدة الجالسة هناك ؟ . .

– إنها السيدة "**بونتون**" ، وأسرتها . . أمريكيون . .

– شكرا . .

وفي الطابق الثالث ، وبينما كان الدكتور "**جيرار**" متجها نحو غرفته ، رأى "**ريموند**" و "**جنيفرا**" في طريقهما إلى باب المصعد للهبوط . وعند الباب ، قالت "**جنيفرا**" لـ "**ريموند**" :

– انتظرني هنا لحظة واحدة يا "**ريموند**" . .

ثم أسرعت عائدة ولحقت بالدكتور "**جيرار**" عند منعطف الممر الطويل ، وأمسكت بذراعه وقالت في لهفة وخوف :

– إنهم سيأخذونني بعيدا . . وقد يقتلونني . إنني لست واحدة منهم ، إن اسمي ليس "**بونتون**" . .

ثم أردفت بسرعة بالغة :

– سوف أفضي إليك بسر خطير .. إنني من أسرة مالكة .. وارثة لعرش دولة كبيرة ، ولهذا فإن الأعداء يحيطون بي من كل جانب . إنهم يحاولون قتلي بالسم .. أيمكن أن تساعدني !

وابتعدت عنه حين سمعت وقع أقدام "**ريموند**" ثم صوته وهو يقول :

– "**جيني**" ..

فنظرت في لهفة وتوسل إلى "**جيرار**" ، ثم قالت لأخيها :

– إنني آتية حالا يا "**ريموند**" ..

ولما انصرفت ، رفع الدكتور "**جيرار**" حاجبيه ، وهز رأسه وقد خامره إحساس بالأسف الشديد ..

- 8 -

كان ذلك الصباح هو الموعد المحدد لبدء الرحلة إلى مدينة "**بطرا**" ، وقد رأت "**سارة**" ، حين هبطت لتستقل السيارة المأجورة المجهزة للرحلة سيدة في منتصف العمر ، كبيرة الأنف ، سبق أن لمحتها في الفندق . وكانت السيدة تعترض على حجم السيارة المؤجرة وتقول لمندوب المكتب السياحي بلهجة احتجاج :

– إن هذه السيارة لا توفر لنا الراحة اللازمة لرحلة طويلة ، ولهذا أصر أن نستبدل بها سيارة كبيرة مريحة .

ولما استدارت ورأت "**سارة**" قالت لها :

– هاه .. الآنسة "**سارة كنج**" .. إنك زميلتنا في الرحلة بهذه السيارة، ما رأيك ؟ أليست أصغر من أن توفر لنا الراحة المطلوبة ؟ إنني السيدة "**وستولم**" ..

فقالت "**سارة**" بحذر :

– أعتقد أنك على حق يا سيدة "**وستولم**" ..

ولم يسع المندوب الشاب لمكتب السياحة إلا أن يقبل في النهاية إحضار سيارة

مأجورة أكبر حجما من تلك التي اعترضت عليها السيدة "**وستولم**" . .

كانت هذه السيدة ، السيدة "**وستولم**" شخصية معروفة في الوسط السياسي بإنجلترا وكان زوجها الأمير "**وستولم**" قد تزوجها في أثناء عودته بالباخرة من رحلته إلى "**أمريكا**" . ولما كان هو بطبيعته وادعا مسالما يهوى الصيد بكل أنواعه فقد قررت هي أن تحل محله في مجلس الأميرات ، وأن تقتحم الميدان السياسي إرضاء لنزعتها في الميل إلى الجدل والمناقشة والاشتراك في المناورات السياسية التي تسقط وزارة وتقيم أخرى .

ولما أقبل الدكتور "**جيرار**" ، قدمته "**سارة**" إلى السيدة "**وستولم**" التي قالت له وهي تصافحه بحرارة :

– إن اسمك ليس غريبا عني . لقد كنت أتحدث مع البروفسور "**شانتو**" في "**باريس**" في الشهر الماضي وقد تحدثنا عن بحوثك في علم النفس ونحن نتبادل الرأي فيما ينبغي أن تفعله الحكومات المتحضرة من أجل المرضى بالأمراض العقلية والنفسية . . هل ندخل إلى البهو لننتظر السيارة الأخرى؟ . .

وأقبلت في تلك اللحظة الراكبة الرابعة ، الآنسة "**أمبل بيرس**" ، وكانت آنسة في منتصف العمر ، وديعة الخلق ، متوسطة الجمال ، وقد عرفت "**سارة**" فيما بعد أنها كانت مربية أطفال ، ولما ورثت من عمها الراحل ثروة صغيرة ، انتهزت أول فرصة للقيام برحلة خارج "**انجلترا**" .

وقالت السيدة "**وستولم**" حين جلس الركاب الأربعة في بهو الفندق :

– إنك طبيبة يا آنسة "**كنج**" . . أليس كذلك ؟

– بلى تخرجت هذا العام .

– آه . . إننا معشر النساء نغزو الآن جميع المجالات ، ولست أشك في أن آمال البشرية في السلام والرخاء سوف تتحقق على أيدينا . .

جاءت السيارة الكبيرة ومعها المرشد المرافق ، وانطلقت بهم في رحلتها الطويلة. وعند الظهيرة ، توقفت في استراحة على ضفة البحر الميت ليتناول الركاب الغداء ، ولما استؤنفت الرحلة ، شعرت "**سارة**" بالندم على القيام بها .

فـقـد خـامـرها إحـسـاس عـمـيق بالضـيق والملل ، وهي تـسـمع صـوت السـيـدة "**وستولم**" المرتفع ، وغمـغمة الآنسة ""**أمبل بيرس**" الخجول ، وثرثرة المرشد ، بل ضاقت أيضا بابتسامة الدكتور "**جيرار**" الذي كان يعرب بها عن فهمه لما يدور بنفسها .

وتساءلت في نفسها : أين ذهب آل "**بونتون**" ؟ لعلهم رحلوا إلى "**سوريا**" .. وربما وصلوا إلى "**بعلبك**" أو "**دمشق**" .. و "**ريموند**" ترى ماذا يفعل الآن ؟ إنها تتخيل وجهه بوضوح؛ وجهه الملهوف المتوتر الأعصاب .

آه .. لماذا تمعن التـفكير في أسرة ربما لن تراها أو تلتـقي بهـا مـرة أخـرى في حياتها . وإنها لتتذكر حديثها مع السيـدة "**بونتون**" .. ولا شك أن هناك من سمعها .. فقد كانت السيدة "**وستولم**" جالسة في البهو عند ذاك .

كانت هذه الأفكار تشغل ذهن "**سارة**" وهي جالسة في حديقة فندق بمدينة "**عمان**" في اليوم التالي من بدء الرحلة .. قد قطع عليها أفكارها هذه الدكتور "**جيرار**" حين جاء من الخارج وجلس بجوارها قائلا وهو يمسح بمنديله العرق عن وجهه :

– يالله .. إن هذه المرأة يجب أن تموت مسممة ..

– من ؟ .. السيدة "**بونتون**" ؟ ..

– لا .. أعني السيـدة "**وستولم**" . إنني لا أدري كيف استطاع زوجها أن يحتملها كل هذه السنوات !

فضحكت "**سارة**" وقالت :

– إنه يقضي معظم وقته في الصيد والرياضة ..

– لولا هذا لمات غما ! ..

– لاشك أنه فخور بنشاط زوجته السياسي ..

– بل قولي سعيد ، لأن هذا النشاط يشغلها عنه !



وبينما كانت السيارة تقطع طريقا صحراويا تمتد الرمال والجبال على جانبيه إلى مدى البصر ، قالت الآنسة "**أمبل**" لـ"**سارة**" :

– إن الإنسان ليتمنى لو رأى بعض الأشجار الظليلة هنا وهناك ، ولكني أعتقد مع هذا أن هذا الفضاء الرحيب رائع في ذاته . أليس كذلك يا آنسة "**كنج**" ؟

وأومأت "**سارة**" برأسها وقالت :

– بلى . . إن هذا الفضاء رائع فعلا . .

ودارت أفكارها حول الفضاء . . إنه يثير الإحساس بالسكينة والهدوء . . ليس فيه بشر يملأون النفس بالضيق والاكتئاب ، ليس فيه مشاكل نابعة من علاقات الإنسان بغيره . إنها الآن على الأقل تشعر بالخلاص من أسر عائلة "**بونتون**" . تشعر بالخلاص من رغبة التدخل في شؤون أشخاص بعيدين عنها كل البعد . وإن هذا الشعور ليملأ نفسها بالسكينة والرضا . . هنا وحدة . . وعزلة، وفراغ . . وفضاء . . هنا في الواقع سلام وصفاء .

ووصلت السيارة بهم إلى قرية "**عين موسى**" حيث كان من المقرر أن يتركوها ليستأنفوا الرحلة على ظهور الجياد ، ونظرت الآنسة "**أمبل**" إلى هذه الركائب في قلق لأنها لم تستعد لها بملابس الركوب . ولكن السيدة "**وستولم**" كانت تعرف سلفا أنها ستقطع الجزء الأخير من الرحلة على ظهر جواد ، فاستعدت بملابس الركوب . .

واقتيدت الجياد بركابها عبر القرية إلى ممر صخري وعر كانت الأحجار تتساقط على جانبيه كلما مرت عليه الجياد بحوافرها . وكانت الشمس قد مالت تماما عند خط المغيب ، ولكن الجو ظل حارا خانقا ، وكانت "**سارة**" لا تزال تشعر بالتعب من جلوسها في السيارة ، حتى بلغت من فرط شعورها بالإرهاق حد التخدر ، ومن ثم يخيل إليها أنها تسير في حلم .

أضيئت المصابيح ، وظلت الجياد في مسيرها . . وفجأة انتهى الممر إلى واد فسيح ، تراجعت عنده التلال والروابي . . وعلى مسافة غير بعيدة في الوادي، رأت مجموعة من الأضواء . .

– هذا هو المعسكر ..

أسرعت الجياد في خطوها .. وازدادت الأضواء اقترابا ، وأصبح من الممكن رؤية الخيام المتناثرة على ضفة نهر صغير كانت أضواء المعسكر تتراقص على صفحة مائه .

استطاعت "**سارة**" وهي تزداد اقترابا من المعسكر أن ترى على الصخور المرتفعة فوق المعسكر ، فتحات كهوف أعدتها سلطات المدينة لتكون غرفا للنوم لمن يكره من السياح أن ينام في الخيام .

سارع بعض الأعراب من عمال مكتب السياحة إلى استقبال الوافدين . ولكن "**سارة**" ظلت مركزة نظراتها على باب أحد هذه الكهوف المرتفعة ، لأنها رأت فيه شبحا جالسا بلا حراك .

ترى ماذا يكون ؟ .. أهو صنم ، أم تمثال أثري منحوت أمام باب ذلك الكهف؟..

لا .. إن انعكاس الأضواء عليه جعله يبدو ضخما رهيب المنظر .. إنه ولا شك مجرد تمثال من الحجر ، يطل على المعسكر في رهبة وصمت ..

وفجأة خفق قلبها بعنف حين تبينت حقيقة ذلك التمثال .. إنه لم يكن تمثالا من حجر .. وإنما من لحم ودم .. إنه لم يكن غير تلك المرأة العجوز البدينة السيدة "**بونتون**" ..

وشعرت "**سارة**" بإحساس الأسير الذي خيل إليه أنه ظفر بحريته ، وبينما لم يكن في الواقع إلا عائدا إلى الأسر !

- 9 -

إن السيدة "**بونتون**" هناك .. في "**بطرا**" !

وراحت "**سارة**" تجيب آليا عن الأسئلة التي وجهها مندوب مكتب السياحة

في المدينة . هل تريد أن تتناول العشاء فورا ؟ . هل تحب أن تغتسل أولا ؟ هل تفضل النوم في خيمة أو في كهف ؟

وأجابت عن السؤال الأخير بسرعة :

– في خيمة ! . .

لأن رؤيتها لتلك المرأة الرهيبة وهي جالسة أمام باب كهف جعلها تنفر من مجرد النوم في واحد منها .

وقالت لنفسها : "إن شيئا ما في هذه المرأة يجعلها تبدو غير آدمية" وأخيرا تبعت أحد العمال العرب ، وكان يرتدي بنطلونا كاكي اللون ، وسترة كاكية ، وعلى رأسه عقال . وأعجبت "**سارة**" بالخفة التي يسير بها العامل العربي ، مع رفع رأسه عاليا في كبرياء وثقة بالنفس .

وأدركت حين دخلت خيمتها أنها بلغت من التعب حدا كبيرا ، ولكن الماء الساخن الذي اغتسلت به خفف من شعورها بالتعب ، وأعاد إليها ثقتها بنفسها، مما جعلها تخجل من فزعها حين رأت السيدة "**بونتون**" .

غادرت الخيمة ، وهبطت إلى حديقة الاستراحة الكبيرة حيث سمعت وراءها صوتا يقول بدهشة ولهفة :

– أنت هنا ؟ !

فلما استدارت بسرعة ، رأت أمامها "**ريموند بونتون**" يكاد يخرج عن طوره من فرط الدهشة الممزوجة بالسعادة . . كان كالإنسان المعذب الذي رأى فجأة باب الجنة يفتح له . وإن "**سارة**" لم تنس في حياتها كلها ، بعد ذلك ، هذه النظرة !

وصاح الشاب قائلا مرة أخرى :

– أنت ؟

ونفذت نبرات الصوت السعيد الملهوف إلى أعماق نفسها ، وجعلت قلبها يتراقص في صدرها . . وقالت بصوت متهدج :

– نعم أنا . .

وتقدم نحوها في ذهول وهو لا يصدق عينيه وتناول يدها بين يديه فجأة وقال :

– إنك أنت حقا ! لقد خيل لي أني أرى شبحك فقط . طيفك .

وصمت برهة قبل أن يردف قائلا :

– إنني أحبك .. أحبك . أنت تعرفين هذا .. أحببتك منذ رأيتك أول مرة في القطار إنني أعرف هذا الآن ، وأحب أن تتأكدي منه حتى تعلمي أن تصرفاتي غير اللائقة نحوك إنما كان لها سبب خارج عن إرادتي .. بل إنني قد أكرر هذه التصرفات هنا أيضا .. قد أمر بك دون أن أحدثك أو أرد على حديث لك وكأني لا أعرفك، إنها حين تطلب مني أن أفعل شيئا ، فلا بد أن أفعله .. احتقريني إذا شئت .

فقالت بصوت كله العذوبة :

– إنني لا أحتقرك يا "**ريموند**" ..

– ولكنني رغم هذا إنسان ضعيف .. يجب .. يجب أن أتصرف كرجل .. نعم هذا ما ينبغي أن أفعله ..

– إنك ستفعل هذا يا "**ريموند**" .

فرد قائلا في حزن :

– حقا ؟ .. ربما ..

– إن الشجاعة لا تنقصك .. وإنني واثقة بهذا ..

فشد قامته ، ورفع رأسه عاليا ، ثم قال بصوت حازم :

– الشجاعة ! نعم .. إن هذا هو ما أحتاج إليه .. الشجاعة !

ثم انحنى وقبل يدها ، وبعد لحظة استدار وانصرف .. وفي حديقة الاستراحة، رأت "**سارة**" زملاء السفر الثلاثة جالسين إلى مائدة يأكلون ، وكان المرشد السياحي يقول لهم :

– إن هناك ، في المنطقة جماعة أخرى من السياح..

– جاءوا منذ يومين .. وسيرحلون بعد غد .. إنهم أسرة أمريكية ، الأم بدينة

جدا .. وقد تحملنا مشقة بالغة في حملها على مقعد إلى هذه المنطقة .

قالت السيدة "**وستولم**" :

– لا شك أنها تلك الأسرة الأمريكية التي رأيتها في فندق الملك "**سليمان**" . إنني لا أنسى منظر الأم العجوز البدينة التي رأيتك تتحدثين إليها يا آنسة "**كنج**" .

اضطرم وجه "**سارة**" ، وخشيت أن تكون السيدة "**وستولم**" سمعت طرفا من ذلك الحديث الشاذ .. ولكن السيدة استطردت تقول :

– إنها أسرة عادية جدا .. ومتحفظة إلى أقصى حد .. اجتمع الأربعة في السادسة من صباح اليوم التالي على مائدة الفطور، ولم يكن ثمة أثر لأسرة "**بونتون**"في ذلك الوقت، وبعد أن فرغوا من الطعام ، خرجوا معا للفرجة على الأماكن الأثرية . وما كادوا يبتعدون عن المعسكر حتى سمعوا شخصا يهتف ويطلب منهم أن يسمحوا له بالانضمام إليهم . كان ذلك الشخص الجديد هو السيد "**جيفرسون كوب**" الذي قال وهو يلهث :

– إذا لم يكن لديكم مانع ، فإني أحب الانضمام إليكم، طاب صباحك يا آنسة "**كنج**" ، إنها مفاجأة سارة أن أراك هنا يا دكتور "**جيرار**" ما رأيك في هذا المنظر ؟

وأشار إلى الصخور الحمراء التي تتكون منها المنطقة الأثرية . وردت "**سارة**" قائلة :

– إن منظرها رهيب ، لقد كنت أتصورها دائما على أنها "المدينة الوردية" ولكن لونها يشبه لون اللحم البقري الأحمر .

سار السائحون بقيادة اثنين من الأدلاء العرب في المنطقة الأثرية الوعرة ، وراحوا يصعدون جبلا من الصخور الحمراء عن طريق ممرات متعرجة ، شديدة الارتفاع حينا ، منبسطة أحيانا ، وكانت الآنسة "**أمبل بيرس**" لا تكف عن الشكوى قائلة إنها لا تستطيع أن تنظر إلى أسفل من مكان مرتفع .

قال الدكتور "**جيرار**" للدليل "**محمود**" :

– هل تجد مشقة دائما في قيادة بعض السائحين الكبار سنا !

فرد "**محمود**" بابتسامة هادئة :

– نعم .. ولكنهم يصرون دائما على الصعود رغم ما ينالهم من إرهاق .

تنهدت "**سارة**" في ارتياح عندما وصلوا جميعا إلى القمة ، وكانت المنطقة الصخرية الحمراء تمتد أمامهم ، وأسفلهم ، في جميع الاتجاهات ، وقال لهم الدليل :

– هنا في هذا المكان يقال إنه نزل على سيدنا "**إبراهيم**" الكبش الذي ضحى به بدلا من التضحية بابنه "**إسماعيل**" .

انفصلت "**سارة**" عن زملائها ، وتجولت بعيدا عنهم بعض الشيء ، وبينما هي واقفة فوق مرتفع ، مستغرقة في التفكير ، إذ بالدكتور "**جيرار**" يقف بجوارها يقول :

– إن هناك شيئا مهما يشغل بالك ..

فرفعت إليه وجها كله الحيرة وقالت :

– نعم .. إنني أفكر في أن الموت أحيانا يكون حلا لمشكلات كثيرة .. وإن فكرة الفداء لها ما يبررها .. إن التضحية بشخص قد تكون ضرورية لحياة أشخاص كثيرين .

فهز الدكتور "**جيرار**" كتفيه وقال :

– إننا معشر الأطباء لا ننظر إلى الموت إلا من زاوية واحدة ، وهي زاوية العداء .. إنه عدونا الأول ..

وقبل أن ترد عليه ، وصل إليها السيد "**كوب**" الأمريكي ، وقال :

– إن هذه المنطقة رائعة ، وإني سعيد بمشاهدتها .. إن السيدة "**بونتون**" مخلوقة ممتازة لأنها هي التي أصرت على الحضور لنشاهدها جميعا .. ولولا هذا لما حضرت .

واستطرد يقول مثرثرا :

– إنها سيدة طيبة القلب ، ولكن صحتها ليست على ما يرام ، وهذا ما

يجعلها تبدو غليظة الطبع أحيانا ، وإن السفر معها يضاعف المشقة ، ولكنها تصر على أن تصحب أبناءها إلى كل مكان ، إنها من فرط رعايتها لهم ، لا تحب أن تتركهم بعيدا عن عينيها ..

ثم عاد وقال :

– إلا أنني سمعت شيئا عنها منذ مدة قريبة ..

كانت "**سارة**" قد عادت إلى الاستغراق في أفكارها . وكان صوت السيد "**كوب**" يصل إلى أذنيها كأنه خرير جدول بعيد .. أما الدكتور "**جيرار**" ، فقد قال للسيد "**كوب**"

– وما هذا الذي سمعت ؟ ..

– حدثتني سيدة قابلتها في فندق بمدينة "**طبرية**" أن خادمة كانت تعمل في قصر السيدة "**بونتون**" ، ثم اكتشفت أنها حامل .. ولم تغضب السيدة "**بونتون**" ، وإنما تحايلت على الخادمة ثم طردتها قبل أن تضع مولودها بشهر تقريبا .

رفع الدكتور "**جيرار**" حاجبيه وقال :

– أهكذا .. ؟

– نعم .. إن السيدة التي أخبرتني بهذا واثقة بما تقول . وإنني لأعتبر هذا التصرف غاية في القسوة .. ولست أدري لماذا ؟

فقاطعه "**جيرار**" قائلا :

– المؤكد أن ما حدث أسعد السيدة "**بونتون**" كل السعادة .

فحملق السيد "**كوب**" إلى وجهه مبهوتا وقال :

– أترى هذا ؟ إنني لا أظن .أن هذا التصرف ينطوي على قسوة غير إنسانية إطلاقا ..

فقال الدكتور "**جيرار**" بهدوء :

– لقد قمت ببحوث عديدة عن العقل البشري ، انتهيت من هذه البحوث إلى أن العقل البشري لا يعرف ، في حالات معينة حدودا للقسوة .

– أخشى أن تكون مبالغا يا دكتور "**جيرار**" ، آه .. إن الهدوء هنا رائع جدا، و "**سارة**" بعيدة عنه .

وعاد "**جيرار**" ينظر إلى "**سارة**" ، فرآها مستغرقة في التفكير ، مقطبة الجبين، وسمع الآنسة "**أمبل بيرس**" تقترب منه قائلة :

– إننا في طريق العودة، أوه .. أخشى أن أعجز عن الهبوط .. ولكن الدليل يؤكد لي أننا سنهبط من ممر آخر أقل انحدارا .

ولكن الآنسة "**بيرس**" استطاعت ، رغم مخاوفها ، أن تعود مع زملائها إلى المعسكر في موعد الغداء . كانت الساعة قد تجاوزت الثانية بعد الظهر بقليل، وكانت أسرة "**بونتون**" قد فرغت من طعامها واستعدت لترك المائدة بحديقة الاستراحة .

وقالت السيدة "**وستولم**" للأسرة ، موجهة الحديث لـ"**كارول**" :

– إن الصباح اليوم كان جميلا جدا . وإن "**بطرا**" لمدينة رائعة .

نظرت "**كارول**" إلى زوجة أبيها أولا ، ثم غمغمت قائلة :

– نعم .. نعم إنها حقا كذلك ..

وقالت الآنسة "**أمبل بيرس**" :

– لسوف أستريح بعد الغداء؛ لأنني لن أستطيع أن أقوم بمجهود كبير بعد ما تحملته من عناء هذا الصباح .

وقالت السيدة "**وستولم**" :

– ربما أفعل هذا أيضا يا آنسة "**بيرس**" .. لسوف أستريح نحو ساعة ثم أقوم بجولة خفيفة لمدة ساعتين ..

نهضت السيدة "**بونتون**" ببطء عن مقعدها بمساعدة "**لينوكس**" ، ثم وقفت وقالت لأفراد أسرتها :

– يحسن أن تقوموا جميعا بجولة بعد ظهر اليوم لمشاهدة المنطقة .

ارتسمت الدهشة على وجوه أفراد أسرتها ، وقال "**لينوكس**" في النهاية :

– وأنت يا أماه .. ماذا ستفعلين ؟

– إنني أشعر بتعب .. وصداع .. ولهذا سوف أجلس وأتسلى بقراءة كتاب .. أما "**جيني**" ، فسوف تأوي إلى فراشها لتنام .

– إنني لست متعبة يا أماه .. إنني أريد أن أذهب معهم .

– إنك متعبة ، وتعانين صداعا . ويجب أن تحافظي على نفسك . اذهبي ونامي .. إنني أعرف ما ينبغي أن تفعليه .

– ولكنني .. ولكن ..

حاولت الفتاة أن تتمرد .. ولكنها لم تلبث أن أحنت رأسها في استسلام وخضوع . وقالت الأم :

– يا طفلتي الحمقاء .. اذهبي إلى خيمتك ..

مضت الفتاة غاضبة تضرب الأرض بقدميها . وانصرف بقية الموجودين والسيدة "**بيرس**" تقول :

– يا لهم من أناس غريبي الأطوار . وتلك الأم .. يا للون وجهها العجيب ! إنها زرقاء اللون ! لعله القلب . ولعل الحرارة تؤذيها .

وقالت "**سارة**" لنفسها :

– "لقد تركتهم أحرارا الآن .. إنها تعلم أن "**ريموند**" يريد أن ينفرد بي .. فلماذا تتيح له هذه الفرصة هل تنصب له شركا ؟ !"

◆◆◆◆◆

وفي نحو الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر ، عادت "**سارة**" إلى حديقة الاستراحة حيث رأت بقية زملائها جالسين ، السيدة "**وستولم**" تتحدث مع الدكتور "**جيرار**" ، والآنسة "**أمبل بيرس**" تقرأ في كتاب ، وتطلع الجميع إلى الجرف العالي حيث كانت السيدة "**بونتون**" جالسة أمام مدخل كهفها ، ساكنة الحركة وكأنها تمثال "**بوذا**" ، ولم يكن هناك على مرمى البصر أحد من موظفي السياحة غيرها . إذ كان الجميع في خيامهم وعلى مسافة أخرى ، كان ثمة جماعة يسيرون مبتعدين ، وقد أشار إليهم "**جيرار**" ، وقال :

– للمرة الأولى تسمح الأم العطوف لأبنائها وبناتها أن يتمتعوا بالحرية بعيدا عنها .. لاشك أنه تطور جديد في تصرفاتها ..

فقالت "**سارة**" :

– أتعرف أن هذا هو نفس ما كنت أفكر فيه !

– يا لنا من أناس مرتابين ! هلم ننضم إليهم ..

وسرعان ما لحقا بأفراد أسرة "**بونتون**" ، وكانت السعادة ، لأول مرة ، تملأ صفحات وجوههم ..

كان "**لينوكس**" و "**نادين**" و "**كارول**" و "**ريموند**" ، والسيد "**كوب**" يضحكون ويتحدثون في مرح لم يلبث أن شاركهم فيه "**جيرار**" و "**سارة**" عند انضمامهما إليهم .

كان كل منهم يحاول أن يستمتع بقدر الإمكان بهذه اللحظات السعيدة النادرة وقد سارت "**سارة**" مع "**لينوكس**" و "**كارول**" في المقدمة ، وراح "**ريموند**" يتحدث مع الدكتور "**جيرار**" ، وراءهما ، وفي النهاية سارت "**نادين**" مع السيد "**كوب**" يتبادلان الأحاديث .

وفجأة سمعت "**سارة**" الدكتور "**جيرار**" ، يقول بصوت خافت متوجع وهو يتوقف :

– معذرة .. يجب أن أعود إلى المعسكر ..

ورنت إليه "**سارة**" قائلة :

– هل ألم بك شيء يا دكتور "**جيرار**" ؟

– نعم .. الحمى .. لقد كنت أشعر بها تسري في دمي منذ ساعة الغداء .

وفحصته "**سارة**" بنظراتها وقالت :

– ملاريا ! ..

– نعم .. لسوف أعود إلى خيمتي لأحقن نفسي بعقار الكينين . أرجو ألا تكون هذه النوبة عنيفة، لقد أصبت بها في أثناء زيارتي للـ"**كونغو**" .

– هل آتي معك ؟ ..

– لا لا .. إن معي حقيبة أدواتي وعقاقيري .. إنني لا أريد أن أحرمك من متعة هذه الرياضة الآن .

وعاد مسرعا في الطريق إلى المعسكر ..

ونظرت "**سارة**" إليه برهة ، ثم التقت عيناها بعيني "**ريموند**" وابتسمت له. وما لبثت أن نسيت كل شيء عن "**جيرار**" ..

استمر الجميع معا فترة وجيزة : "**لينوكس**" و "**نادين**" ، و "**كارول**" و "**سارة**" و"**ريموند**" والسيد "**كوب**" . ولكن "**سارة**" ، على نحو ما ، استطاعت أن تنفصل مع "**ريموند**" عنهم جميعا ، وسارت معه حتى وصلا إلى أقرب بقعة ظليلة حيث جلسا يستريحان وقال "**ريموند**" بعد برهة صمت :

– أتتصورين أنني لا أعرف اسمك حتى الآن ؟ أعني اسمك الذاتي يا آنسة "**كنج**" ..

– "**سارة**" .. "**سارة كنج**" ..

– هل يمكن أن أناديك بـ"**سارة**" فقط ؟ ..

– بالتأكيد .. بالتأكيد ..

– "**سارة**" .. هل يمكن أن تحدثيني عن نفسك ؟ ..

اعتمدت بظهرها إلى صخرة ، ثم راحت تتحدث عن حياتها في "**يوركشير**" ، وعن كلابها وعن هوايتها ، وعن عمتها التي قامت على تربيتها ..

وبعد ذلك راح "**ريموند**" يحدثها ، بعبارات متقطعة ، عن حياته البائسة مع زوجة أبيه ..

وأعقب هذا صمت طويل تماسكت خلاله أيديهما ، ثم جلسا وكأنهما طفلان صغيران .. هانئان بصحبة أحدهما للآخر ..

ولما بدأت الشمس تنحدر نحو المغيب ، تحرك "**ريموند**" وقال :

– لسوف أعود الآن .. لا .. ليس معك ، سوف أعود بمفردي ، إن لدي عملا يجب أن أقوم به ، فإذا قمت به ، فسوف أثبت لنفسي أنني لست جبانا ، وفي هذه الحالة لن أخجل من التقدم إليك لطلب يدك والتماس مساعدتك ، لأنني

سأكون في حاجة إلى المساعدة .. وربما أحتاج إلى اقتراض بعض المال .

ابتسمت "**سارة**" وقالت :

– يسعدني أنك واقعي في تفكيرك .. ويمكنك أن تعتمد عليّ ..

– ولكن يجب أولا أن أقوم بهذا العمل بمفردي ..

– أي عمل ؟!

فارتسمت أمارات الحزم على وجه الشاب وهو يقول :

– إثبات شجاعتي .. فإما أن أفعل هذا الآن ، أو أبقى عبدا إلى الأبد .

ثم وثب واقفا واستدار ومضى مسرعا نحو المعسكر ..

وتراخت "**سارة**" إلى الصخرة ، وراحت ترقبه وهو يبتعد بخطوات تنم عن العزيمة والإصرار ..

شعرت بالجزع وهي تتذكر عباراته .. لقد أحست أن فيها إصرار الإنسان الذي ينوي أن يقوم بعمل طائش أو متهور ، وتمنت لو أنها ذهبت معه ، ولكنها قررت البقاء .. إن "**ريموند**" أراد أن يقوم بعملية بمفرده ليختبر مدى شجاعته،

وتمنت بكل جوارحها ألا تخذله شجاعته في اللحظة الأخيرة ..

كانت الشمس في أفق المغيب حين أشرفت "**سارة**" على المعسكر عند عودتها وفي ضوء الغروب الخافت رأت السيدة "**بونتون**" لا تزال جالسة في مقعدها أمام كهفها ؛ وارتعدت "**سارة**" قليلا وهي ترى ذلك الجسم البدين الرابض كتمثال رهيب يرمز للشر والقسوة .

أسرعت سائرة في الممر السفلي ووصلت إلى حديقة الاستراحة حيث رأت السيدة "**وستولم**" تعمل في أشغال الإبرة والآنسة "**أمبل بيرس**" مشغولة بقطعة تطريز ، وعمال المكتب السياحي يروحون ويجيئون لإعداد طعام العشاء ، أما آل"**بونتون**" ، فكانوا جالسين في الطرف الآخر من الحديقة يقرأون . دخلت "**سارة**" خيمتها واغتلست ، وعند عودتها ، وقفت أمام خيمة الدكتور "**جيرار**" ونادت عليه بصوت خافت ، فلما لم تسمع إجابة ، رفعت حافة الخيمة ودخلت فرأته راقدا بلا حراك فانسحبت مسرعة وهي ترجو أن يكون مستغرقا

في النوم .

أقبل نحوها أحد العمال العرب وقال : إن العشاء معد .

ولما وصلت إلى المائدة كان الجميع حولها فيما عدا الدكتور "**جيرار**" والسيدة "**بونتون**" ، وكان أحد العمال قد أرسل إلى السيدة العجوزة ليخبرها بأن العشاء معد .

وفجأة حدثت ضجة أسرع خلالها اثنان من العرب إلى الدليل "**محمود**" ، واضطرب هذا بشدة وأسرع في طريقه إلى السيدة "**بونتون**" .. ورأت "**سارة**" أن تلحق به .. وتسأله :

– ماذا حدث ..؟

– يقول "**عبده**" إن السيدة .. لا تتحرك ..

– سآتي معك لأرى ماذا حدث ..

أسرعت "**سارة**" إلى السيدة "**بونتون**" ، وأمسكت يدها ، ثم انحنت عليها .. ثم اعتدلت وقد شحب وجهها ..

ولما عادت إلى الجالسين حول المائدة ، قالت بصوت مرتعد موجهة الحديث إلى "**لينوكس**" :

– يؤسفني أن أقول لك .. إن أمكم ماتت ..

تلقى أفراد الأسرة النبأ في ذهول من لا يصدق أذنيه ..

وفجأة أخذوا يتنهدون وكأنهم لم يتلقوا نعيا ، وإنما بشرى !

- 10 -

رفع العميد "**كاربري**" حكمدار مدينة "**عمان**" كأسه وقال لضيفه الجالس أمامه عبر المائدة :

– في صحة الجريمة ..!

وابتسم "**بوارو**" ثم قال وهو يرفع كأسه :

– وفي صحة الذين يكافحونها ..

وبعد أن حدث "**كاربري**" "**بوارو**" عما حدث للسيدة "**بونتون**" في "**بطرا**" ، وعن نقل جثتها إلى "**عمان**" ، وعن احتمال أن تكون وفاتها ناشئة عن مشقة الرحلة وحرارة الجو مع إصابتها بمرض القلب أردف قائلا :

– ولكنني أرتاب في أفراد أسرتها .. لقد علمت من مختلف المصادر أنها كانت تعاملهم بقسوة .. أعني كانت تسيطر عليهم سيطرة السجان على المسجونين .. ولهذا فإن هناك احتمالا كبيرا في أن أحد هؤلاء الأفراد أو جميعهم ، اشتركوا في القضاء عليها .

وقال "**بوارو**" بهدوء :

– ألم يكن في "**بطرا**" عندئذ أحد الأطباء ؟!

– كان هناك اثنان .. طبيب أمراض عصبية مشهور هو الدكتور "**جيرار**" وطبيبة حديثة التخرج هي الآنسة "**كنج**" ، ولكن الدكتور "**جيرار**" كان مريضا بنوبة ملاريا عند وفاة السيدة "**بونتون**" .

– تقول إن السيدة المتوفاة كانت مريضة ..

– نعم .. بالقلب .. وكانت تتناول نقط القلب بانتظام .

– إذن ما الذي جعلك تشك في أن موتها ليس طبيعيا ؟!

– إنه الدكتور "**جيرار**" .. ويحسن أن أستدعيه لتسمع أقواله بنفسك ..

وبعد أن أرسل العميد أحد جنوده لاستدعاء الدكتور "**جيرار**" قال له "**هيركيول بوارو**" :

– كم عدد أفراد هذه الأسرة ؟..

– إنها أسرة "**بونتون**" ، الأم المتوفاة ، وابنان ، أحدهما متزوج ، وزوجته ، وهي شابة لطيفة جميلة ، وابنتان .. الصغرى منهما متوترة الأعصاب جدا .. ربما من الصدمة .

ورفع "**بوارو**" حاجبيه وقال :

– "**بونتون**" .. "**بونتون**" ؟ هذا عجيب .. عجيب جدا ..

ودخل الدكتور "**جيرار**"، وقدمه العميد "**كاربري**" إلى "**بوارو**" قائلا :

– هذا هو السيد "**هيركيول بوارو**" .. جاء إلى "**عمان**" لمهمة خاصة ، وكنت أتحدث معه عن الوفاة في مدينة "**بطرا**" .

وبعد أن تناولوا الأحاديث عن موضوع الوفاة وارتياب العميد "**كاربري**" في أنها غير طبيعية ، قال للدكتور "**جيرار**" :

– أحب أن تخبر السيد "**بوارو**" بما أخبرتني به يا دكتور "**جيرار**" في هذا الشأن .

– إن الخطأ في جانبي .. وقد أكون واهما في استنتاجاتي .. ولكنني مضطر لأن أذكر ما لاحظت كنت أعاني نوبة ملاريا في ذلك الوقت ، فلما عدت إلى خيمتي بحثت عن المحقن طويلا فلم أجده ، وأخيرا اضطررت إلى تناول كمية من أقراص الكينين ..

وبعد برهة صمت استطرد الدكتور "**جيرار**" يقول :

– لقد اكتشفت وفاة السيدة "**بونتون**" بعد غروب الشمس بقليل ، وقد رجع هذا إلى طريقتها في الجلوس .. لقد ماتت وهي جالسة .. ولم يكتشف أحد موتها إلا حين ذهب أحد العمال ليخبرها بأن طعام العشاء معد وكان ذلك في الساعة السادسة والنصف ..

وبعد أن وصف موضع الكهف وحديقة الاستراحة ، أردف قائلا :

– وقد فحصت الآنسة "**كنج**" ، الطبيبة المؤهلة ، الجثة وتأكدت من الوفاة ، ولكنها لم تشأ أن توقظني من النوم لعلمها بحالتي ، لم يكن هناك ما يمكن أن تفعله بعد أن تأكدت من وفاة السيدة "**بونتون**" .

فقال "**بوارو**" :

– كم من الوقت كان قد مضى على وفاتها عند اكتشاف الأمر ؟

– إن الآنسة "**كنج**" لم تهتم كثيرا بتحديد الوقت باعتبار أنه أمر ليس له أهمية خاصة .

– إذن متى كانت السيدة "**بونتون**" على قيد الحياة آخر مرة ؟

فنظر العميد "**كاربري**" في ملف أمامه ، ثم قال مجيبا عن هذا السؤال :

– لقد تحدثت السيدة "**وستولم**" والآنسة "**أمبل بيرس**" مع السيدة "**بونتون**" في نحو الساعة الرابعة والنصف ، وبعد نحو خمس دقائق ، تحدثت معها السيدة "**لينوكس**" حديثا طويلا . وتبادلت "**كارول**" حديثا عابرا مع زوجة أبيها في وقت لم تستطع أن تحدده ، ولكنه كان – بأقوال الشهود يقترب من الخامسة وعشر دقائق .

واستطرد العميد "**كاربري**" قراءته من الملف قائلا :

– وفي أثناء عودة السيد "**جيفرسون كوب**" صديق الأسرة مع السيدة "**وستولم**" والآنسة "**بيرس**" إلى المعسكر بعد جولتهما ، رأى السيدة "**بونتون**" من بعيد نائمة ، فلم يشأ أن يزعجها، وكان ذلك في نحو الساعة السادسة إلا ثلثا. ويلوح أن الشاب "**ريموند**" الابن الأصغر ، كان آخر من تحدث إلى السيدة "**بونتون**" وهي على قيد الحياة ، إذ تحدث معها بعد عودته من جولته المسائية . وكان ذلك في نحو السادسة إلا عشر دقائق ، وقد اكتشفت الوفاة في السادسة والنصف عندما ذهب أحد عمال المكتب السياحي ليخبرها بأن العشاء معد .

– ألم يقترب منها أحد إطلاقا بعد انصراف "**ريموند**" عنها حتى لحظة اكتشاف وفاتها ؟ . .

– كلا . . لم يحدث . . .

– معنى هذا أن "**ريموند**" كان آخر شخص تحدث إليها وهي على قيد الحياة!

وتبادل العميد النظرات مع الدكتور "**جيرار**" ثم قال له :

– استمر في حديثك يا دكتور "**جيرار**" . .

– إن الآنسة "**كنج**" لم تجد أهمية لتحديد وقت الوفاة ، وإنها اكتفت بقولها : إنها ماتت منذ "مدة وجيزة" ولكن عندما حاولت أنا ، عرضا ، أن أحدد وقت وفاتها علميا وقلت في حديثي : إن "**ريموند**" كان آخر من حدثها وهي على

قيد الحياة ، كان ذلك في السادسة إلا عشر دقائق ، قالت الآنسة "**كنج**" بحماس :

– إن هذا لا يمكن ، لأن السيدة "**بونتون**" كانت ميتة قطعا قبل السادسة إلا عشر دقائق .

فرفع "**بوارو**" حاجبيه وقال :

– عجيب هذا جدا . . وماذا قال "**ريموند**" في هذا الشأن ؟

فأجاب العميد "**كاربري**" :

– إنه أقسم بأن زوجة أبيه كانت على قيد الحياة حين تحدث إليها . وقال إنه ذهب إليها وأخبرها أنه عاد من جولته ، أو شيء من هذا القبيل ، وإنها تمتمت بكلمات قليلة مثل "حسنا . . حسنا" ثم عاد إلى خيمته .

قطب "**بوارو**" جبينه وقال :

– عجيب . . عجيب جدا . . وهل كان الجو مظلما بعض الشيء عندئذ ؟

– كانت الشمس قد غربت في تلك اللحظات . .

– عجيب جدا . وأنت يا دكتور "**جيرار**" . . متى رأيت الجثة ؟

– في صباح اليوم التالي . . في التاسعة تماما . .

– وماذا كان رأيك عن ساعة الوفاة ؟

هز الدكتور "**جيرار**" كتفيه وقال :

– من العسير أن أحدد هذه الساعة بعد مرور أكثر من اثنتي عشرة ساعة على الوفاة، وإذا طلبت للشهادة فبإمكاني أن أقول : إن الوفاة حدثت قبل التاسعة صباحا فيما لا يقل عن اثنتي عشرة ساعة ، وفيما لا يزيد على ثماني عشرة ساعة ، وهذا كما ترى ، لا يساعد في شيء .

وقال العميد "**كاربري**" :

– حسنا يا دكتور "**جيرار**" . . اذكر للسيد "**بوارو**" ما تعرف بعد ذلك .

– عندما استيقظت في صباح اليوم التالي وجدت المحقن على منضدة الزينة وراء مجموعة من الزجاجات المختلفة .

ثم انحنى إلى الأمام وأردف قائلا :

– ربما يقول أحدكما : إنني غفلت في البحث عن المحقن في هذا المكان ، ولكنني أؤكد لكما أن المحقن لم يكن موجودا في ذلك الموضع حين بحثت عنه في المساء السابق .. أنا واثق بهذا رغم حالة الحمى التي كنت أعانيها .

وقال العميد "**كاربري**" :

– وهناك شيء آخر يا دكتور .

– نعم .. هناك حقيقتان لهما أهميتهما . لقد لاحظت وجود علامة على معصم يد السيدة "**بونتون**" تشبه العلامة التي تحدثها وخزة إبرة المحقن . وقد فسرت ابنتها "**كارول**" وجود هذه العلامة قائلة : إنها حدثت من وخزة دبوس .

– حسنا .. والحقيقة الثانية ؟

– عندما فحصت محتويات حقيبة الأدوية والعقاقير ، وجدت أن كمية كبيرة من عقار الديجيتوكسين ناقصة من الزجاجة .

– الديجيتوكسين ؟ إنه سم للقلب . أليس كذلك ؟

– بلى .. إنه أحد مستحضرات عقار الديجيتالين .. وهناك أربعة مستحضرات من هذا العقار .. الديجيتالين ، والديجيبيتونين ، ، الديچوكسين، والديجيتوكسين، وهذا المستحضر الأخير هو أشدها ضراوة على القلب، وطبقا لبحوث الدكتور "**كوبس**" ، فإنه أشد تأثيرا على القلب بنسبة ستة إلى ثمانية أمثال المستحضرات الأخرى ..

– وما تأثير جرعة كبيرة منه ؟ ..

– إن جرعة كبيرة من الديجيتوكسين إذا حقنت في الدم ، فإنها تؤدي إلى الوفاة الفجائية بالسكتة القلبية ، والمعروف أن أربعة ملليجرامات منه كفيلة بقتل الإنسان البالغ .

قال "**بوارو**" :

– وكانت السيدة "**بونتون**" تعاني قبل موتها مرض القلب ؟

– نعم . وكانت تتناول دواء يحتوي على نسبة قليلة من الديجيتالين .

– هل تعني أن وفاتها حدثت بسبب جرعة كبيرة من هذا العقار ؟

– بل إنني أعني أكثر من هذا ..

قال الدكتور "**جيرار**" :

– إن الديجيتالين إذا أحدث الوفاة لا يترك أثرا يدل عليه عند تشريح الجثة مادام المريض قد اعتاد أن يعالج به .

فأومأ "**بوارو**" برأسه وقال :

– نعم .. هذه براعة .. براعة كاملة ، ولن يستطيع أحد عند المحاكمة أن يثبت أن في الأمر جريمة وهذا يعني أن المجرم – إذا كان هناك جريمة حقا – له عقلية بارعة .. عقلية حادة الذكاء .. عقلية تجعل صاحبها يعرف كيف يضع خطة محكمة ثم ينفذها بدقة بالغة .

ثم صمت برهة وقال :

– ولكن شيئا واحدا يحيرني ..

– ماهو ... ؟

– سرقة المحقن ..

فقال "**جيرار**" :

– إنه أخذ من مكانه .

– أخذ وأعيد ..

– نعم ..

– إن هذا مايحيرني ..

نظر إليه العميد "**كاربري**" في دهشة وقال :

– هه ... ما رأيك .. هل في الأمر جريمة ؟

– إننا لم نصل بعد إلى مرحلة الإجابة عن هذا السؤال .. لأن لدي أنا "**هيركيول بوارو**" ، دليلا يجب أن أذكره بشأن هذا الحادث ..

– لديك أنت ؟! ...

فابتسم في وجهيهما الدهشين وقال :

– نعم .. لدي أنا .. ففي ذات ليلة وأنا في فندق الملك "**سليمان**" ، كنت أوشكت أن أغلق نافذة غرفتي عندما سمعت شخصا ما يقول هذه العبارة بصوت عصبي (ولهذا كله يجب أن تقتل) ولم أهتم بما سمعت على أساس أنها عبارة يقرؤها أحد في رواية أو في مسرحية ، أما الآن فإني واثق بأن الأمر كان أكثر جدية مما حسبت ..

وصمت برهة قبل أن يقول :

– لقد تبينت بعد ذلك أن قائل هذه العبارة شاب رأيته أمام مصعد الفندق في البهو .. وهذا الشاب ، حين سألت عنه عرفت أنه يدعى "**ريموند بونتون**" !

– نعم ..

وبعد برهة صمت قال العميد "**كاربري**" :

– والآن .. ماذا يمكننا أن نفعل ؟

فهز "**جيرار**" كتفيه وقال :

– لاشيء .. إن من العسير إثبات التهمة على "**ريموند**" حتى لو كان هو القاتل ..

فقال "**بوارو**" :

– هل يعني هذا أن نترك الأمر عند هذا الحد ؟

فقال "**جيرار**" ببطء :

– لقد كانت المتوفاة امرأة شريرة، وكان من المرجح أن تموت بداء القلب في خلال شهر أو شهرين على الأكثر، وأن موت هذه المرأة قد حرر من ربقة الأسر أشخاصا صالحين للحياة في المجتمع .

فقال "**بوارو**" :

– يعني أنك راض عن هذا الوضع ؟!

وفجأة ضرب "**جيرار**" المائدة بيده وقال :

– لا .. إنني كطبيب لايمكن أن أرضى عن وضع كهذا مهما كانت نتائجه

الطيبة، إننا معشر الأطباء نعيش للمحافظة على حياة الآخرين بصرف النظر عن سلوكهم وأخلاقهم، إنني عاطفيا قد أقبل هذا الوضع ، أما عقليا ، فإنني لا أرضى إطلاقا أن يموت إنسان قبل أجله المحدد .

ابتسم "**بوارو**" في صمت ، وقال "**كاربري**" :

– إنني مثلك لا أحب جرائم القتل مهما كانت مبرراتها .. و الآن .. مارأيك يا سيد "**بوارو**" في هذه الحالة ؟

فقال "**بوارو**" ببطء :

– إنك يا عميد "**كاربري**" تريد أن تعرف من قتل السيدة "**بونتون**" إن كانت قد قتلت حقا، وتريد أن تعرف كيف ومتى وقعت الجريمة ؟ أليس كذلك ؟ .

– بلى .. بالتأكيد ..

– وهذا من حقك بطبيعة الحال ..

– وهل في مقدورك أن تكتشف غموض هذه الجريمة يا سيد "**بوارو**" ؟

فقال "**بوارو**" بلا تردد :

– نعم .. بكل تأكيد .. ولكن علينا أولا أن نقرر .. هل اشترك أفراد الأسرة جميعا في هذه الجريمة ؟ أم أن الذي ارتكبها فرد واحد .

فقال "**جيرار**" :

– إن ما سمعته أنت من "**ريموند**" يحصر الجريمة في نطاقه هو ..

– نعم .. لا سيما وأنه كان آخر من تحدث إلى زوجة أبيه قبل موتها ..

– ولكن الآنسة "**كنج**" ترفض هذا الدليل ..

فابتسم "**بوارو**" وقال :

– أخبرني يا دكتور "**جيرار**" .. هل هناك .. صلة عاطفية معينة بين "**ريموند**" والآنسة "**كنج**" ؟

– نعم ..

– وهل الآنسة "**كنج**" هي الشابة ذات الشعر الكستنائي والعينين العسليتين

الواسعتين و الشخصية القوية المرتسمة على وجهها ؟

– نعم .. إنها هي ..

– لقد رأيت "**ريموند**" عند المصعد في فندق الملك "**سليمان**" يحملق إليها مبهوتا وكأنه يرى ملاكا هابطا عليه من السماء ولكن أخبرني يا دكتور "**جيرار**" هل تعتقد أن "**ريموند**" من الطراز الذي يمكن أن يرتكب بسهولة جريمة كهذه؟

فقال "**جيرار**" ببطء :

– نعم .. في حالة اضطراب وتوتر عصبي شديد .

– وهل هذه الحالة قائمة ؟

– نعم .. إن هذه الرحلة جعلت أفراد الأسرة يشعرون بالفارق الكبير بين حياتهم السجينة في القصر وبين الحياة الرحيبة في العالم الواسع . ولاشك أن حب "**ريموند**" لـ"**سارة**" قد ضاعف من شعوره بوجوب التخلص من المرأة التي تسجنهم .

وقال "**كاربري**" كأنما تذكر شيئا :

– وبهذه المناسبة يا سيد "**بوارو**" ..إن العبارة التي سمعتها من "**ريموند**" كان يقولها لشخص ما .. أليس كذلك ؟

– بلى .. بلى .. بالتأكيد .. ولاشك أنه كان يتحدث إلى أحد أفراد الأسرة . ولكن من هو هذا الفرد .. أو من هي .. هل يمكن يا دكتور "**جيرار**" أن تذكر لي حالة أحد أفراد الأسرة تشبه الحالة التي كان عليها "**ريموند**" ؟

– نعم .. إنها أخته "**كارول**" ، أما "**لينوكس**" فكان قد بلغ من اليأس والرضوخ للأمر الواقع بحيث لم يكن يهمه أن يتمرد عليه ..

– وزوجته ؟ ..

– إنها رغم شعورها بالحزن واليأس والشقاء ، إلا أنها لم تكن تعاني الصراع العقلي .. والواقع أنها كانت تفكر جديا في الانفصال عن "**لينوكس**" .

ثم ذكر له الحديث الذي جرى بينه وبين "**جيفرسون كوب**" وأومأ "**بوارو**"

برأسه وقال :

– وماذا عن الابنة الصغرى ؟ . .

– أعتقد أنها في حالة خطيرة من الناحية العقلية بدت عليها أعراض الانفصام العقلي وأصبحت تعتقد أنها شخصية خيالية، إن الكبت الذي تعانيه جعلها تهرب من الواقع إلى الخيال، لقد أخبرتني أنها من أسرة مالكة وأن الأعداء يحيطون بها ليقتلوها . .

– وهذا يجعلها خطرا على الغير ؟

– نعم . . إن المريض بهذا المرض يلجأ أحيانا إلى القتل . . إنه يقتل دفاعا عن نفسه . . يقتل حتى لا يدع أحدا يقتله . .

– إذن فمن رأيك أن "**جنيفرا**" قد تكون مرتكبة الجريمة ؟

– نعم . . ولكنني أظن أنها غير قادرة على تدبير أية جريمة بمثل هذا الإحكام إن المريض بالانفصام العقلي يقتل بوسيلة سهلة وبلا تدبير محكم .

– ولكن هناك احتمالا في أنها تكون القاتلة !

– نعم . .

– وهل تعتقد أن أفراد الأسرة يعرفون من هو القاتل ؟

فقال "**كاربري**" :

– إنني لا أشك في هذا . . إن كل شيء في تصرفاتهم يدل على أنهم يعلمون شيئا مشتركا . . .

فقال "**بوارو**" :

– لسوف نجعلهم يخبروننا بكل ما يعرفون . .

فرد "**كاربري**" قائلا :

– ولكن عليك أن تنتهي من هذا الأمر بسرعة ، لأننا لا نستطيع أن نحجزهم هنا مدة غير محدودة .

فقال "**بوارو**" بهدوء :

– لسوف تعرف الحقائق كلها غدا مساء . .

فحملق "**كاربري**" في وجهه وقال :

– إنك واثق بنفسك جدا .. أليس كذلك ؟

– لأنني "**هيركيول بوارو**" يا صديقي ..

وابتسم "**كاربري**" وقال :

– إذا نجحت في هذا ، فسوف أعترف بأنك معجزة في البحوث الجنائية .

- 11 -

ألقت "**سارة كنج**" نظرات فاحصة على "**هيركيول بوارو**" ، بينما قال هو :

– إننا نريد أن نعرف الحقيقة عن هذا الموضوع ..

– تعني موضوع وفاة السيدة "**بونتون**" ؟

– نعم ..

– ألا ترى أنها زوبعة في فنجان ؟ لعل تفكيرك الدائم في الجريمة والمجرمين جعلك ترتاب في ..

فقاطعها "**بوارو**" قائلا :

– من الطبيعي أن أرتاب في وقوع جريمة كلما كان هناك ما يبرر هذا الارتياب...

– وهل هناك ما يبرر ارتيابك في هذا الموضوع ؟

– وهل أنت تعتقدين أن الوفاة طبيعية يا آنسة "**كنج**" .. ؟

فصمتت لحظة ثم قالت :

– لو أنك ذهبت إلى "**بطرا**" يا سيد "**بوارو**" لأدركت مدى المشقة التي يعانيها المسافر إليها .. ولا شك أن هذه المشقة يتضاعف تأثيرها على امرأة عجوز مريضة بالقلب ..

– هل يعني هذا أن الأمر طبيعي من وجهة نظرك كطبيبة ؟

– نعم .. وأنا لا أدري سر موقف الدكتور "**جيرار**" من الأمر .. لقد كان راقدا بالملاريا حين ماتت السيدة "**بونتون**" وأنا أعترف أنه أكثر خبرة ودراية بالطب مني ، ولكن ليس هناك الأساس الذي يستطيع به أن يثبت خطئي في تحديد وقت الوفاة .. وإن في "**القدس**" أطباء شرعيين يمكنهم أن يتأكدوا من صحة قراري إذا عرضتم الأمر عليهم .

صمت "**بوارو**" برهة قبل أن يقول :

– إذن فأنت لا تعرفين بعض الحقائق المعينة ، إن الدكتور "**جيرار**" لم يخبرك ..

– أية حقائق تعني ؟..

– لقد سرقت كمية من عقار الديجيتوكسين من حقيبة أدوية الدكتور "**جيرار**" ..

أسرعت "**سارة**" وقد أدركت معنى هذا التطور الجديد في الموضوع :

– أوه ! هل الدكتور "**جيرار**" واثق من هذا ؟ ..

– إن الأطباء عادة كما تعلمين ، لا يلقون بأقوالهم جزافا .

– نعم .. نعم .. ولكن هل لديه أية فكرة عن الشخص الذي أخذ هذا العقار أو عنّ الوقت الذي أخذ فيه ؟

– إنه بالتأكيد لا يعرف من الذي أخذ العقار .. ولكنه واثق تماما بأن جميع علب وزجاجات الأدوية كانت تامة عندما فتح الحقيبة ليلة وصوله إلى "**بطرا**" ليأخذ بعض الأسبرين ...

صمت "**بوارو**" فترة قبل أن يردف قائلا :

– ما رأيك في هذا الدليل ؟ ..

– إنه في رأيي دليل ضعيف ..

– كأنك تنصحينني بعدم القيام بأية حركات أخرى في هذا الشأن بـ ...

– أعتقد أن أفراد آل "**بونتون**" تعذبوا في حياة الأم كثيرا ، وليس من الإنسانية أن تزيد عذابهم بكل هذه الشكوك والإجراءات ..

فابتسم "**بوارو**" قائلا :

– أها .. كأنك ترين أن موت هذه الطاغية القاسية خير من استمرار بقائها على قيد الحياة ؟

فاضطرم وجه "**سارة**" ، وقالت :

– إنني لا أستطيع الإجابة عن سؤال شاذ كهذا ..

– أيا كان أمر الضحية يا آنسة "**كنج**" .. سواء أكانت ملاكا أو شيطانا . فإنني لا أوافق على أن تقتل بيد فرد أو أفراد ليست لهم سلطة المحاكمة القانونية ..

– تقتل .. ؟ ما الأدلة على هذا ؟ إن الدكتور "**جيرار**" قد يكون مخطئا في تقديره عن العقار .. لا سيما وقد كان يعاني حمى الملاريا ..

– ولكن هناك دليلا أقوى يا آنسة "**كنج**" ..

– أي دليل هذا ؟ ..

– علامة وخزة محقن على معصم السيدة "**بونتون**" ، وعبارة سمعتها في ليلة وصولي إلى فندق الملك "**سليمان**" بـ"**القدس**" .. سمعتها وأنا أغلق نافذة غرفتي .. وكانت الكلمات واضحة تماما .. هل تحبين أن تسمعيها يا آنسة "**كنج**" ، حسنا ..

"إنها لهذا كله يجب أن تقتل" وكان قائلها "**ريموند بونتون**" .

رأى وجه "**سارة**" يمتقع بشدة وهي تقول :

– هل سمعت هذا ؟ ..

– نعم ..

– عجبا ! ألا تراها مصادفة نادرة ؟ ..

– إن الحياة مجموعة مصادفات يا آنسة "**كنج**" !

– نعم نعم ..

– هل تساعدينني ؟

– بكل تأكيد

– شكرا يا آنسة "**كنج**" .. والآن .. أريد أن أسمع منك شخصيا كل ما حدث في ذلك اليوم الذي ماتت فيه السيدة "**بونتون**" ..

فكرت "**سارة**" برهة ثم قالت :

– ذهبنا في جولة صباحا ولم يكن معنا أحد من آل "**بونتون**" . ولكنني رأيتهم في ساعة الغداء بحديقة الاستراحة ، وكانت السيدة "**بونتون**" في حالة معنوية طيبة على غير العادة .

معنى هذا أنها لم تكن كذلك في معظم الأحوال ..

– بالعكس .. كانت دائما متجهمة الوجه ، ضيقة الصدر ..

ثم راحت تصف معاملة السيدة "**بونتون**" لأفراد أسرتها ..

وقد علق "**بوارو**" على هذا بقوله :

– وكان هذا التصرف في رأيك غير طبيعي ؟

– نعم .. إنها كانت تسجنهم حولها دائما ...

– هل تعتقدين إذن أن حالتها المعنوية الطيبة في ذلك الوقت هي التي دفعتها إلى إطلاق سراحهم بضع ساعات ؟

– لا ...

– إذن ما استنتاجك ؟ ..

– إنها كانت تلعب بهم لعب القط بالجرذان ..

– ماذا تعنين يا آنسة "**كنج**" ؟ ..

– إن القطة تستمتع برؤية الجرذ حين يحاول الهرب منها .. وهي لهذا تطلقه قليلا لتوهمه بأنه حر ، ثم تنقض عليه . وفي رأيي أن السيدة "**بونتون**" لها نفس هذه العقلية ، ولهذا كنت واثقة من أنها أرادت أن تحقق هدفا معينا حين سمحت لهم بالتجوال بعيدا عنها ..

– وماذا حدث بعد ذلك ؟ ..

– لقد بدأ أفراد أسرة "**بونتون**" يتجولون ..

– جميعا ؟ ..

– لا .. لقد تخلفت الابنة الصغرى "**جنيفرا**" ؛ لأن أمها أمرتها بأن تأوي إلى فراشها لأنها متعبة ..

– وهل كانت ترغب في أن تأوي إلى فراشها ؟ ..

– لا .. ولكن هذا لا يهم فما دامت الأم قد أمرت بذلك ، فلابد أن تطيع الابنة.. وسار الباقون في الطريق إلى النزهة . وقد لحقنا بهم ، الدكتور "**جيرار**" وأنا .

– متى كان هذا ؟ ..

– في نحو الثالثة والنصف بعد الظهر ..

– وأين كانت السيدة "**بونتون**" عندئذ ؟ ..

– كانت "**نادين**" زوجة "**لينوكس**" قد عاونتها على الجلوس في مقعدها أمام الكهف ..

– استمري في الحديث ..

– بعد أن انعطفنا في الممر سرنا مسافة قصيرة ، شعر الدكتور "**جيرار**" باشتداد أعراض الحمى ، فقرر العودة وكانت أعراض الحمى واضحة عليه مما جعلني أقترح العودة معه لأساعده ولكنه رفض .

– ومتى كان هذا ؟ ..

– في نحو الرابعة ..

– والباقون ؟ ..

– استأنفوا التجوال وكنا معا جميعا ، ثم انقسمنا .. سارت "**نادين**" مع السيد "**كوب**" ، وبقيت "**كارول**" مع "**لينوكس**" ، ومضيت أنا مع "**ريموند**" ..

– وأين ذهبت مع "**ريموند**" ؟

– جلسنا في ظل شجرة وأخذنا نتأمل كل المناظر الطبيعية التاريخية وبعدها انصرف "**ريموند**" وبقيت أنا برهة وكانت الساعة الخامسة والنصف حين رأيت أن الوقت قد حان لعودتي إلى المعسكر وقد وصلت إليه في السادسة عند غروب

الشمس ..

– هل مررت بالسيدة "**بونتون**" في طريق العودة ؟ ..

– لاحظت أنها لا تزال جالسة في مقعدها أمام باب الكهف ..

– ألم تلاحظي شيئا غريبا عليها ؟ ..

– لا .. لأنني رأيتها جالسة على هذا النحو في ليلة وصولنا إلى "**بطرا**" .

– حسنا .. وبعد ذلك ؟

– ذهبت إلى حديقة الاستراحة ، وكان الجميع بها فيما عدا الدكتور "**جيرار**" . ودخلت خيمتي حيث اغتسلت . ولما عدت إليهم كان العشاء قد أعد وذهب أحد العمال ليخبر السيدة "**بونتون**" . ولكنه عاد مسرعا قائلا إنها مريضة جدا، ولكنني حين أسرعت وفحصتها وجدتها ميتة تماما .

– ولم يخامرك أي شك في أنها ماتت ميتة طبيعية ؟ ..

– نعم .. لأني سمعت أنها كانت تعاني مرضا بالقلب ..

– هل ظننت أنها ماتت بالسكتة القلبية . وهي جالسة .. ؟

– نعم ..

– هل استطعت أن تعرفي كم مضى عليها وهي ميتة ؟ .

– لم أفكر في هذا عندئذ .. وكل ما عرفته أنها كانت ميتة منذ مدة تزيد على ساعة .. وربما أكثر .. لأن انعكاس الحرارة على الصخور يجعل الجثة تبطئ في البرودة .

– عجبا يا آنسة "**كنج**" ! . ألا تعرفين أن "**ريموند**" قال إنه تحدث معها قبل اكتشاف موتها بنصف ساعة ؟

فهزت رأسها وأشاحت بعينيها عن عينيه وقالت :

– لا شك أنه أخطأ في تحديد الوقت .

– لا يا آنسة "**كنج**" .. إنه لا يمكن أن يخطئ في أكثر من نصف ساعة ..

فزمت "**سارة**" شفتيها برهة وقالت :

– رغم أنني حديثة التخرج في كلية الطب ، إلا أن دراستي تجعلني واثقة

بأقوالي .. إن السيدة "**بونتون**" كانت ميتة قبل ساعة على الأقل حين فحصت جثتها .

فقال "**بوارو**" فجأة :

– كم مرة تحدثت إلى أفراد أسرة "**بونتون**" يا آنسة "**كنج**" ؟ فكرت "**سارة**" برهة ثم قالت :

– لا أعرف على وجه التحديد . لقد تحدثت مع "**ريموند**" في القطار الذاهب إلى "**القدس**" وتحدثت مع "**كارول**" مرتين : مرة في مسجد عمر ، والثانية في ساعة متأخرة بغرفتي . وتحدثت مع "**نادين**" في الصباح التالي ، هذه هي المرات التي تحدثت فيها مع أفراد الأسرة حتى ما بعد ظهر اليوم الذي ذهبنا فيه جميعا للنزهة في جبال "**بطرا**" .

– ألم تتحدثي مع الآنسة "**بونتون**" إطلاقا ؟ ..

ولم يسع "**سارة**" إلا أن تذكر له حديثها في بهو الفندق مع السيدة "**بونتون**" ، وقد اختتمته قائلة :

– وأعتقد أنني كنت حمقاء في حديثي هذا ؟

– حسنا يا آنسة "**كنج**" شكرا .. سوف أسمع الآن أقوال الآخرين ..

ونهضت "**سارة كنج**" لتنصرف ولكنها توقفت فجأة ثم نظرت إلى "**بوارو**" في تردد وأخيرا قالت :

– معذرة يا سيد "**بوارو**" .. هل يمكن أن أقترح شيئا ..

– بالتأكيد .. بالتأكيد بكل تأكيد ..

– لماذا لا تؤجل هذه التحقيقات كلها حتى تعرف نتيجة التشريح وتتأكد من أن شكوكك تقوم على أساس سليم ؟

فقال "**بوارو**" بكل جرأة :

– هذه هي طريقة "**هيركيول بوارو**" في الكشف عن الجرائم الغامضة ..

وكادت "**سارة**" تعرب له عن رأيها في غروره ، ولكنها زمت شفتيها وانصرفت ..

- 12 -

دخلت السيدة "**وستولم**" الغرفة بثبات عابرة المحيطات ، وكانت الآنسة "**أمبل بيرس**" ترفرف وراءها مثل مقطورة لا يمكنها السير بمفردها .

وقالت السيدة "**وستولم**" بصوتها المرتفع :

– يسرني يا سيد "**بوارو**" أن أقدم لكم أية خدمة لتحقيق العدالة إنني أضع نفسي دائما في خدمة المجتمع الإنساني . .

وبعد أن فرغت من حديثها الطويل عن واجب الإنسان نحو المجتمع الإنساني قال لها "**بوارو**" :

– أرجوك أن تذكري لنا ماذا فعلت أو رأيت بعد ظهر يوم الوفاة

– نعم . . نعم . . بكل تأكيد . . لقد قررنا – أنا والآنسة "**بيرس**" – أن نستريح قليلا بعد طعام الغداء في خيمتينا !

– وهل كانت السيدة "**بونتون**" جالسة أمام كهفها ؟

– نعم . . لقد ساعدتها زوجة ابنها على الجلوس أمام الكهف قبل أن تمضي في جولتها . .

– هل كان في مقدورك أن تريها بوضوح ؟

– نعم . . إن الجرف الذي تقوم فيه كهوف النوم كان يرتفع قليلا عن حديقة الاستراحة ، ويبعد عن خيامنا نحو مائتي ياردة .

بسط "**بوارو**" أمامه خريطة المعسكر وقال :

– طبقا لهذه الخريطة أقول : إن كهف "**لينوكس بونتون**" وزوجته كان يقع بجوار كهف السيدة "**بونتون**" مباشرة . أما "**كارول**" و "**ريموند**" و "**جنيفرا**" فقد كانت لهم خيام تقع تحت جرف الكهف مباشرة . وتواجه حديقة الاستراحة في الناحية المقابلة لخيامكم . . أليس كذلك؟ . .

– نعم . .

– وعلى اليمين قليلا من خيمة "**جنيفرا**" ، كانت تقع خيمة الدكتور "**جيرار**" وبعدها خيمة الآنسة "**كنج**" ، أما في الجهة المقابلة للحديقة فكانت تقع خيمة السيدة "**وستولم**" ، ثم خيمة الآنسة "**بيرس**" وبينهما سور حديقة الاستراحة ثم خيمة السيد "**كوب**" صديق أسرة "**بونتون**" ..

ولما أومأت السيدة "**وستولم**" برأسها موافقة ، قال "**بوارو**" :

– حسنا يا سيدتي .. أرجو أن تستمري في الحديث ..

– في نحو الرابعة إلا ربعا خرجت إلى خيمة الآنسة "**أميل بيرس**" لأسألها إن كانت تريد أن تتمشى معي قليلا ، وكانت جالسة أمام باب خيمتها تقرأ . واتفقنا على أن نتمشى قليلا بعد نصف ساعة أي عندما تخف حرارة الشمس بعض الشيء، وعدت إلى خيمتي لأقرأ، وبعد نصف ساعة صحبت الآنسة "**بيرس**" إلى النزهة، وكان جميع من في المعسكر نائمين كما بدا لي فيما عدا السيدة "**بونتون**" التي كانت جالسة في مقعدها أمام باب كهفها، وقد اقترحت على الآنسة "**بيرس**" أن تمضي وتسألها إن كانت تريد شيئا قبل أن نغادر المكان..

فغمغم "**بوارو**" قائلا :

– نعم .. إن هذا يدل على مدى إيمانك بالواجب .

– شكرا .. ولكن تصور ماذا كان جزاؤنا ؟ لقد هتفت عليها ونحن نمر تحت الجرف أسألها إن كانت تريد شيئا قبل أن نمضي ، فإذا بها تنظر إلينا كأننا حشرات ولا ترد علينا بأكثر من غمغمة ..

قالت الآنسة "**بيرس**" بوجه مضطرم :

– شيء مخجل ! ..

وقالت السيدة "**وستولم**" :

– إنني أعترف أني قلت للآنسة "**بيرس**" عندئذ أن السيدة "**بونتون**" ربما كانت مخمورة .. لأن موقفها منا كان غريبا جدا ..

فقال لها "**بوارو**" :

– هل كان موقفها غريبا طيلة ذلك اليوم .. في وقت الغداء مثلا ؟ ..

ففكرت السيدة "**وستولم**" برهة ثم قالت :

– لا .. لا أعتقد .. بل كانت تصرفاتها عندئذ طبيعية جدا .

ولكن الآنسة "**بيرس**" قالت :

– لا تنسي أنها كانت غليظة في معاملتها لذلك العامل العربي ..

– متى ؟..

– قبل أن نتمشى بمدة غير قصيرة ..

– آه .. تذكرت .. لقد كانت ثائرة ووجهت إليه ألفاظا قاسية ولكن الرجل لم يفهم شيئا بالتأكيد .. على أن الإنسان عندما يكون مجهدا بسبب السفر قد تتوتر أعصابه من أقل شيء ..

– ومن هو ذلك العامل ؟ ..

– أحد عمال مكتب السياحة؟ وأعتقد أنها طلبت منه أن يأتيها بشيء معين، فجاءها بشيء آخر؟ والواقع أنها كانت شديدة العنف معه حتى لقد تراجع عنها في خوف وانطلق بعيدا.. وقد لوحت وراءه بعصاها وهتفت عليه..

– ماذا قالت له ؟ ..

– لا أعرف ، لأننا كنا بعيدتين عنها في ذلك الوقت . أليس كذلك يا آنسة "**بيرس**" ؟

فقالت الآنسة "**بيرس**" وقد اضطرم وجهها مرة أخرى :

– بلى .. بلى .. ويبدو أنها أرسلته ليأتي لها بشيء من خيمة ابنتها "**جنيفرا**" ، فلم ينجح ، أو لعلها رأته خارجا من خيمة "**جنيفرا**" دون سبب واضح ..

فقال "**بوارو**" :

– وما شكل هذا العامل ؟

– إنه رجل طويل يرتدي عقالا وسترة وبنطلونا لونهما كاكي .. وكان بنطلونه ممزقا وحزام الساق (القلشين) غير محكم على ساقيه ..

– هل يمكنك أن تتعرفي عليه من بين عمال المكتب السياحي ؟ .

– لا أظن .. لأننا لم نر وجهه ، كما أن هؤلاء الناس يشبه بعضهم بعضا .

وبعد برهة قال "**بوارو**" :

– حسنا .. يمكننا أن نتعرف على هذا العامل لنعرف منه لماذا غضبت السيدة "**بونتون**" عليه ، والآن .. استمري في الحديث يا سيدة "**وستولم**" ..

– بعد أن سرنا قليلا ، التقينا بالدكتور "**جيرار**" عائد مترنحا شاحب الوجه بادي المرض كان واضحا عليه أنه محموم بالملاريا ، وقد عرضت عليه أن أذهب معه إلى خيمته وأحضر له بعض الكينين ، ولكنه رفض قائلا : إن لديه حاجته من الكينين في الخيمة ..

واستأنفنا المسير حتى وصلنا إلى صخرة ظليلة فجلسنا نستريح ..

– هل كنتما في تلك البقعة بعيدتين عن مرمى البصر من المعسكر ؟

– لا .. كنا جالستين في مواجهته ..

– هل كان في مقدورك أن تري أحدا من أفراد أسرة "**بونتون**" ؟

– نعم .. رأينا الابن الأكبر وزوجته وهما في طريق العودة إلى المعسكر ..

– هل كانا معا ؟

– لا .. لقد مر السيد "**بونتون**" أولا .. وكان يبدو كالمريض بضربة شمس لأنه كان يسير في حالة ذهول .

– وماذا فعل عندما عاد إلى المعسكر ؟ ..

– ذهب فورا إلى أمه ولكنه لم يمكث معها إلا فترة وجيزة ..

– ما المدة التي مكثها على وجه التحديد ؟ ..

– دقيقة أو دقيقتين .. ثم ذهب إلى كهفه وبعد ذلك هبط إلى حديقة الاستراحة..

– وماذا عن زوجته ؟ ..

– إنها شابة لطيفة معقولة ..

– هل راقبتها وهي تعود إلى المعسكر ؟ ..

– نعم .. لقد ذهبت إلى حماتها وتحدثت معها قليلاً ثم دخلت كهفها واستحضرت مقعدا وجلست بجوار حماتها تتحدث معها مدة .. نحو عشر دقائق ..

– وبعد ذلك ؟ ..

– أعادت المقعد إلى الكهف وهبطت إلى حديقة الاستراحة حيث جلس زوجها..

– وماذا حدث بعد ذلك ؟ ..

– جاء ذلك الأمريكي صديق الأسرة .. أظن أن اسمه "**كوب**" وأخبرنا أنه شاهد مكانا أثريا جميلا ، فذهبنا معا وشاهدنا البقعة الأثرية ثم عدنا إلى المعسكر وكانت الساعة قد بلغت السادسة إلا ثلثا، وكانت البرودة قد بدأت تشيع في الجو ..

– وهل كانت السيدة "**بونتون**" في مكانها كما تركتماها ؟

– نعم ..

– هل تحدث أحد منكما إليها ؟ ..

فقالت السيدة "**وستولم**" :

– لا .. وإذا شئت الحقيقة فإني لم أنظر ناحيتها بعد أن لاحظت وجودها من بعيد .

– وماذا فعلت بعد ذلك ؟ ..

– دخلت خيمتي وغيرت ملابسي ، وعدت إلى حديقة الاستراحة حيث شربت الشاي مع الآنسة "**أمبل بيرس**" ، وأخبرنا المرشد العربي أن العشاء سيكون معدا بعد نصف ساعة ، وكان مساعدوه يعدون المائدة ..

فقال "**بوارو**" :

– هل كان هناك أحد في حديقة الاستراحة ؟ ..

– أوه .. نعم .. السيد والسيدة "**لينوكس بونتون**" ، كانا جالسين في طرف من المائدة ، و "**كارول**" كانت هناك أيضا ..

– والسيد "**كوب**" ؟ ..

– اشترك معنا في شرب الشاي ..

– وبعد ذلك ؟ ..

– أذكر أن "**ريموند بونتون**" جاء من نزهته ثم أقبل على مائدة العشاء ، وأقبلت بعده أخته الصغرى ذات الشعر الذهبي ، أما الآنسة "**كنج**" فكانت آخر من حضر إلى المائدة ، ثم أرسل المرشد أحد العمال ليخبر السيدة "**بونتون**" أن العشاء معد .. ولكن العامل عاد مسرعا في حالة اضطراب ، وسمعنا أن السيدة "**بونتون**" أصيبت بمرض ، وعرضت السيدة "**كنج**" خدماتها ، ولكنها قالت بعد أن ذهبت إلى السيدة "**بونتون**" إنها ميتة تماما ..

– وكيف تلقى أفراد الأسرة هذا الخبر ؟ ..

– الواقع أن من العسير أن يعرف المرء حقيقة مشاعرهم .. لقد تلقوا الخبر في هدوء تام وذهبوا جميعا مع الآنسة "**كنج**" .. ولكنني بقيت مع الآنسة "**بيرس**" حتى لا نبدو متطفلتين .. وأخيرا عاد المرشد مع الآنسة "**كنج**" ، واقترحت أن نتناول نحن العشاء على أن يتناوله أفراد أسرة "**بونتون**" فيما بعد ، ووافق الباقون على هذا الاقتراح . وبعد أن فرغنا من الطعام ، أويت إلى خيمتي ، وكذلك فعلت الآنسة "**بيرس**" والآنسة "**كنج**" ، أما السيد "**كوب**" فقد جلس في حديقة الاستراحة ليكون تحت أمر أسرة "**بونتون**" إذا احتاجوا إليه . هذا كل ما أعرف يا سيد "**بوارو**" .

ثم سألها "**بوارو**" قائلا :

– عندما ألقت الآنسة "**كنج**" بالنبأ إلى أفراد الأسرة ، هل ذهبوا معها جميعا؟

– نعم .. لا .. أذكر الآن أن الابنة الصغرى ذات الشعر الذهبي بقيت في حديقة الاستراحة .. أليس كذلك يا آنسة "**بيرس**" ؟

– بلى .. تماما ..

– وماذا فعلت هذه الابنة الصغرى يا سيدة "**وستولم**" ؟

– ماذا فعلت ؟ إنها لم تفعل شيئا ! ..

– أعني ألم تكن تقرأ أو تشغل نفسها بشيء ما ؟

فقالت الآنسة "**بيرس**" فجأة :

– كانت تدير إبهامها دون أن تتحرك من مكانها ..

– سؤال واحد أخير يا سيدة "**وستولم**" .. أرجو أن تستديري بوجهك عن الآنسة "**بيرس**" .. آه .. حسنا .. والآن هل يمكن أن تصغي إلي ؟ ماذا ترتدي الآنسة "**بيرس**" اليوم ؟

فهزت السيدة "**وستولم**" كتفيها وقالت :

– هل تريد أن تختبر قوة ملاحظتي ؟ حسنا .. إن الآنسة "**بيرس**" ترتدي ثوبا من القطن مخططا باللونين الأبيض والبني مع حزام سوداني أحمر ، مطرز باللونين الأزرق والبيج ، وترتدي جوربا حريريا لونه بيج ، وحذاء بنيا من الجلد الأجلاسيه، وهناك رتق في الجورب الأيسر ، وتضع حول عنقها عقدا من حبات لونها أزرق ، كما تتزين بسوار عليه نقش فراشة ، وفي إصبع يدها اليمنى الأوسط خاتم له فص من الماس المقلد، وعلى رأسها قبعة من الفلين ذات لونين أزرق وبني .

وبعد برهة صمت قالت :

– هل هناك شيء آخر يا سيد "**بوارو**" ؟ ..

فبسط ""**بوارو**" يديه وقال :

– إنني لا أعرف كيف أعرب لك عن إعجابي بقوة ملاحظتك يا سيدة "**وستولم**" ..

– إن التفاصيل الدقيقة . قلما تفوتني ..

ثم نهضت لتغادر الغرفة ، وتبعتها الآنسة "**بيرس**" وهي تنظر في أسفل إلى الرتق في جوربها الأيسر ! ..

وقبل أن تنصرف الآنسة "**بيرس**" تماما ، نادى "**بوارو**" عليها وقال :

– لحظة واحدة من فضلك يا آنسة "**بيرس**" ..

فتوقفت فجأة والتفتت إليه قائلة وقد بدا الخوف على وجهها :

– نعم يا سيد "**بوارو**" ؟

وانحنى "**بوارو**" نحوها وأشار إلى مائدة في الركن وقال :

– أترين هذه الباقة من الأزهار البرية على هذه المائدة ؟

فحملقت الآنسة "**بيرس**" إلى الأزهار وقالت :

– نعم .

– وهل لاحظت عند دخولك الغرفة أنني عطست مرة أو مرتين ؟

– نعم . .

– وهل لاحظت أنني . . أنني كنت أشم هذه الأزهار ؟

– لا . . لا لم ألاحظ هذا . .

– ولكنك تتذكرين أنني عطست ؟

– أوه . . نعم . . إنني أتذكر هذا . .

فابتسم "**بوارو**" وقال :

– حسنا . . لا بأس . . إن هذه الأزهار من النوع الذي يثير شيئا من الحساسية عند بعض الناس .

– الحساسية ! أوه . . إن لي ابنة عم مريضة بهذه الحساسية ولا تكاد تأكل شيئا أو تشم شيئا حتى تصاب بها . .

– شكرا . . شكرا يا آنسة "**بيرس**" . .

واستطاع "**بوارو**" أن يتخلص من الآنسة "**بيرس**" ومن حديثها عن حساسية ابنة عمها . . وبعد انصرافها ، رفع حاجبيه وغمغم قائلا كأنما يحدث نفسه :

– ولكنني لم أعطس . . نعم . . لم أعطس منذ أسبوعين على الأقل .

- 13 -

عندما دخل "**لينوكس بونتون**" غرفة السيد "**بوارو**" ، كان العميد "**كاربري**" قد غادرها لبعض شأنه ، ولو أن الدكتور "**جيرار**" كان موجودا بها ، لدهش كل الدهشة وهو يرى "**لينوكس**" يدخل بخطوات ثابتة ، مرفوع الرأس ، رابط الجأش ، أبعد ما يكون عن ذلك الرجل المتهالك الضعيف الخائف من

سيطرة زوجة أبيه .

ونهض "**بوارو**" لاستقباله قائلا :

– طاب صباحك يا سيد "**بونتون**" . إنني شاكر لك تفضلك بالحضور فأومأ "**لينوكس**" وقال وهو يتخذ مجلسه :

– لقد نصحني العميد "**كاربري**" بالحضور قائلا : إنه من الأفضل لنا جميعا أن نتجاوب معك حتى لا يبقى هناك أي شك في طبيعة وفاة أمنا وقال "**بوارو**" في عرض الحديث :

– لا شك إن هذه الوفاة كانت صدمة شديدة لك؟..

– نعم بالتأكيد .. أعني .. لا .. ليس إلى حد كبير ، كنا نتوقع وفاتها في أي وقت بسبب مرضها بالقلب .

– هل كان من الحكمة إذن ، وهذه حالتها ، أن تسمحوا لها بالقيام بهذه الرحلة الشاقة ؟

فرفع "**لينوكس**" رأسه وقال بوقار :

– إن أمي يا سيد "**بوارو**" اعتادت أن تنفذ رغباتها .. فهي إذا قررت شيئا فلا بد أن تنفذه دون أي اهتمام بمعارضتنا .

– نعم .. نعم .. إن للسيدات العجائز تصرفات تثير الأعصاب ..

فقال "**لينوكس**" بضيق :

– ما جدوى التحدث في هذه الشؤون الآن ؟ بل ما الغرض من كل هذه الإجراءات التي تتخذونها ؟

– لعلك لا تعرف يا سيد "**لينوكس**" أن مثل هذه الإجراءات ضرورية في حالات الوفاة الفجائية .

فقال "**لينوكس**" بحدة :

– ماذا تعني بعبارة "حالات الوفاة الفجائية" ؟

فهز "**بوارو**" كتفيه وقال :

– في هذه الحالات لا بد للإنسان أن يتساءل : هل كانت الوفاة طبيعية أو..

انتحار مثلا ؟

– انتحار ؟ ! . . .

– إنك بالتأكيد أكثر الناس دراية بالظروف التي أحاطت بالوفاة، ولكن العميد "**كاربري**" في حيرة من أمره . . إنه لا يعرف هل يصدر أمرا بإجراء التحقيق وتشريح الجثة أم . . حسنا لقد طلب مني أن أقوم ببعض التحريات قبل أن يتخذ قراره الأخير في هذا الشأن .

– إنني في هذه الحالة مضطر لإرسال برقية إلى القنصل الأمريكي في "**القدس**" . .

– هذا من حقك بالتأكيد . . ويمكنك أيضا أن ترفض الإجابة عن أية أسئلة أوجهها إليك . .

– لا لا . . لا داعي لهذا كله . . إنني مستعد للإجابة عن أي سؤال وإن كنت أرى أن الأمر أقل من أن تثار من أجله كل هذه الضجة . .

فأومأ "**بوارو**" برأسه وقال متلطفا :

إنها مسألة إجراءات عادية . وكل ما أطلبه منك أن تخبرني بما حدث بعد ظهر يوم الوفاة . لقد علمت أنك تركت المعسكر للقيام بنزهة في ذلك الوقت ؟

– نعم . . غادرنا المعسكر جميعا فيما عدا أمي وأختي الصغرى . .

– كانت والدتك جالسة أمام كهفها عندئذ ؟

– نعم . . كعادتها كل يوم بعد الظهر منذ وصلنا إلى "**بطرا**" . .

– حسنا . . ومتى بدأت النزهة ؟ . .

– بعد الساعة الثالثة . .

– ومتى عدت منها ؟

– لا أدري على وجه التحديد . . ربما كانت الساعة عند العودة الرابعة أو الخامسة . .

– أي بعد ساعة أو ساعتين من بدء النزهة ؟ .

– نعم . . تقريبا . .

– هل مررت بأحد في أثناء عودتك ؟ . .

– لا أذكر . .

– ألم تمر بسيدتين كانتا جالستين في طريق العودة ؟

– ربما . . نعم . . ربما . .

– كأنك كنت مستغرقا في تفكير شديد . .

– نعم . . هذا ما حدث . .

فصمت "**بوارو**" برهة قبل أن يستأنف أسئلته قائلا :

– هل تحدثت مع والدتك ، أي مع زوجة أبيك ، عند عودتك ؟

– نعم . . نعم . . هذا ما فعلته .

– ألم تشك لك من إحساسها بتعب أو مرض مفاجئ ؟

فكر "**لينوكس**" برهة قبل أن يجيب قائلا :

– لا بل كانت في حالة طيبة . .

– هل يمكن أن أسأل عما دار بينكما بالتفصيل ؟

ومرة أخرى صمت "**لينوكس**" قبل أن يجيب قائلا :

– قالت : إنني بادرت بالعودة ، فقلت نعم ، لأن الجو حار ، ثم سألتني عن الوقت قائلة إن ساعة يدها توقفت . . فأخذتها منها وضبطتها ، ثم أعدتها ووضعتها في معصمها . .

وقاطعه "**بوارو**" قائلا برفق :

– وكم كان الوقت عندئذ ؟ . .

– آه ! . .

– كم كان الوقت عندما ضبطت الساعة للسيدة "**بونتون**" ؟

– كان . . كان الخامسة إلا خمسا وعشرين دقيقة . .

فقال "**بوارو**" برفق :

– إذن فقد كنت تعرف متى عدت إلى المعسكر على وجه التحديد ؟

فاضطرم وجه "**لينوكس**" وقال :

– نعم .. ما أغباني ! إنني آسف يا سيد "**بوارو**" .. لقد خانتني ذاكرتي ولا عجب في هذا بعد كل هذه المتاعب ..

– نعم .. نعم .. إن لك العذر بالتأكيد .. حسنا وماذا حدث بعد ذلك ؟

– سألت أمي إن كانت تريد شيئا .. شرابا .. أو شايا أو قهوة ، فقالت لا .. ثم ذهبت إلى حديقة الاستراحة ولم يكن بها أحد من العمال العرب .. فشربت زجاجة ماء بالصودا ، ثم جلست أقرأ بعض أعداد قديمة من مجلة "**سترداي ايفننج بوست**" .. ويبدو أنني غفوت قليلا .

– وهل انضمت إليك زوجتك في حديقة الاستراحة ؟

– نعم .. جاءت بعد مدة غير طويلة ..

– ولم تر أنت السيدة "**بونتون**" على قيد الحياة بعد ذلك ؟

– نعم .. لم أرها إلا .. متوفاة ..

– ولم تكن مهتاجة أو مضطربة حين تحدثت إليها ؟ ..

– لا .. كانت تماما كعهدنا بها ..

– هل هذا كل ما لديك من أقوال ؟ ..

– نعم ..

– حسنا .. أرجو أن تتكرم بإرسال السيدة زوجتك .

وبعد انصراف "**لينوكس**" ، كتب "**بوارو**" في مفكرة أمامه ما يلي "**لينوكس بونتون**" : الساعة 4:35 بعد الظهر .

- 14 -

نظر "**بوارو**" باهتمام إلى "**نادين**" وهي تدخل الغرفة بقامتها الطويلة ، ورأسها المرفوع في شموخ واعتداد بالنفس ، ثم نهض ليستقبلها ويحييها بصوت رقيق قائلا :

– السيدة "**لينوكس بونتون**" ؟ إنني "**هيركيول بوارو**" ، في خدمتك ..

– جلست "**نادين بونتون**" ، وركزت عينيها على وجه "**بوارو**" الذي أردف قائلا :

– أرجو أن تغفري لي موقفي هذا في ساعات أحزانكم .

صمتت برهة قبل أن تتنهد قائلة :

– أعتقد أنه من الأفضل أن أكون صريحة معك يا سيد ."**بوارو**" ..

– إنني أتفق معك في هذا يا سيدتي ..

– إذن أرجو أن تعلم أننا لا نشعر بأي حزن على وفاة السيدة "**بونتون**" .. أو هذا هو شعوري أنا على الأقل ..

– شكرا لك على هذه الصراحة يا سيدة "**لينوكس**" ..

– ومع ذلك فأنا أشعر بتأنيب الضمير ..

– عجبا !! ..

– لأنني كنت السبب المباشر في موتها ..

فتراخى "**بوارو**" في جلسته وقال :

– هل تسمحين يا سيدتي وتفسرين حديثك هذا ؟

– نعم .. هذا ما أريد أن أفعله . لقد خطر لي في أول الأمر أن أحتفظ لنفسي بما حدث . ولكن بعد هذه التطورات ، رأيت أن أذكر الحقيقة . وأعتقد يا سيد "**بوارو**" أنك جدير بأن يفضي إليك الإنسان بأسراره الخاصة .

– شكرا يا سيدة "**لينوكس**" ..

– حسنا .. يمكنني أن أخبرك أن حياتي الزوجية لم تكن سعيدة ، ولا ذنب لزوجي في هذا ، لأن زوجة أبيه كانت مسيطرة عليه تماما . وقد خامرني الشعور منذ مدة بأني لم أعد أطيق الاستمرار برهة في هذه الحياة ..

وصمتت برهة قبل أن تستطرد قائلة :

– وفي يوم وفاة السيدة "**بونتون**" ، أو على الأصح ، بعد ظهر ذلك اليوم ، اتخذت قرارا نهائيا ورأيت أن أبدأ بتنفيذه فورا . ومن ثم عدت إلى المعسكر من

نزهتي وانتهزت فرصة وجود السيدة "**بونتون**" بمفردها أمام كهفها وأخبرتها بهذا القرار .

– حسنا يا سيدتي .. هل يمكن أن أعرف هذا القرار ؟

– قررت أن أنفصل عن زوجي ..

– أهكذا ؟ ..

– نعم .. وكان السيد "**كوب**" ، صديق الأسرة ، يلح عليّ دائما أن أفعل هذا لأتزوجه . وقد وافقت على رغبته في ذلك اليوم ..

– وهل دهشت السيدة "**بونتون**" عندئذ ؟ ..

– نعم .. بل صدمت ، لقد دهشت وغضبت في وقت واحد .. بل لقد تمادت في غضبها بحيث لم تستطع أن تقول شيئا في أول الأمر ، ولم أشأ أنا أن أجادلها في شأن يخصني ، فنهضت وانصرفت عنها ..

صمتت برهة ثم أردفت قائلة :

– ولم أرها بعد ذلك على قيد الحياة ..

– وأنت تظنين أن وفاتها ناتجة من هذه الصدمة ؟ ..

– بل يبدو لي أن هذا هو المؤكد . فقد أجهدت نفسها في الرحلة أكثر مما ينبغي ، وقد أجهز عليها حديثي معها والصدمة التي تلت هذا الحديث ، وإن إحساسي بالذنب يزداد لأنني أعرف الكثير عن الشؤون الطبية ، وكان ينبغي أن أدرك سلفا نتائج مثل هذه الصدمة عليها ..

– وماذا فعلت على وجه التحديد بعد انصرافك عنها ؟

– أعدت المقعد إلى كهفي ، وهبطت إلى حديقة الاستراحة حيث كان زوجي جالسا .

– هل أخبرته بذلك قبل حديثك مع السيدة "**بونتون**" ؟

– أخبرته في حديقة الاستراحة ..

– وكيف تلقى هذا القرار ؟

– اضطرب أشد الاضطراب ..

– ألم يطلب منك في إلحاح أن تعيدي النظر في قرارك هذا ؟ . .

– الواقع أنه لم يتحدث كثيرا . . لأنه . . لأنه كان يتوقع أن يحدث هذا عاجلا أو آجلا . .

– معذرة في توجيه هذا السؤال إليك . . هل الرجل الآخر هو . . السيد "**جيفرسون كوب**" ؟

– نعم . .

– هل لديك محقن يا سيدة "**لينوكس**" . . ؟

وبعد برهة صمت طويلة قال "**بوارو**" في هدوء تام :

– نعم . . أو . لا . . !

فلما رفع حاجبيه في دهشة ، فسرت الأمر بقولها :

– إن لديّ محقنا قديما في حقيبة الأدوية بين أمتعة السفر . . وهو موجود في "**القدس**" بالفندق .

– آه . . فهمت . .

وبعد برهة صمت قالت "**نادين**" وهي ترتعد بقلق :

– لماذا توجه إليّ هذا السؤال يا سيد "**بوارو**" ؟

ولم يجب عن سؤالها ، وإنما وجه إليها سؤالا آخر :

– أعتقد أن السيدة "**بونتون**" كانت تتناول عقارا يحتوي على أحد مستحضرات الديجيتالين ؟ . .

– نعم . .

– لأنها كانت مريضة بالقلب ! . .

– نعم . .

– والديجيتالين من العقاقير التي تحتوي على سموم ؟

– أعتقد هذا . . وإن كنت لا أعرف الشيء الكثير عنه . .

– إذا كانت السيدة "**بونتون**" قد تناولت جرعة أكبر مما ينبغي من هذا الدواء . .

فقاطعته بسرعة قائلة :

– إنها لم تفعل ، لأنها كانت دقيقة جدا في هذه الناحية . وكذلك كنت أنا حين أضع النقط بالعد المطلوب .

– ربما كانت نسبة عقار الديجيتالين أكبر من اللازم في هذا الدواء .. أي ربما أخطأ الصيدلي في تحضيره ! ..

– أعتقد أن هذا غير محتمل ..

– حسنا .. سوف نتأكد من هذا بتحليل الدواء ...

– هذا أيضا غير ممكن ، لأن زجاجة الدواء انكسرت ..

فرفع "**بوارو**" حاجبيه في اهتمام مفاجئ وقال :

– أحقا ؟ .. وماذا كسرها ؟ ..

– لا أدري على وجه التأكيد .. إنه أحد العمال كما أظن . لقد كان الضوء خافتا عند نقل أمتعة السيدة "**بونتون**" إلى الكهف ، كما كان الجميع في حالة استعجال وقد اصطدم أحد العمال بمنضدة .

– إن هذا الشيء يثير الاهتمام حقا ..

تململت "**نادين**" في مقعدها وقالت بلهجة تحد :

– هل تعتقد أن السيدة "**بونتون**" لم تمت من صدمة حديثي معها ، وإنما بسبب جرعة زائدة من العقار ؟ إنني لا أرى هذا محتملا ..

– حتى لو قلت لك إن الدكتور "**جيرار**" الذي كان مقيما في المعسكر وجد أن كمية من عقار الديجيتوكسين ناقصة من زجاجة في حقيبة أدويته ؟

تسمرت "**نادين**" في مكانها وقد امتقع وجهها بشدة .

وقال "**بوارو**" :

– حسنا يا سيدتي .. ما رأيك في هذا ؟ ..

ومرت بضع لحظات قبل أن ترد "**نادين**" قائلة بصوت مرتعد :

– أنت تعرف يا سيد "**بوارو**" أنني لم أقتل السيدة "**بونتون**" . لقد كانت على قيد الحياة حين انصرفت عنها، ويتأتى لعدد كبير من الناس أن يشهدوا

بهذه الحقيقة، وما دمت بريئة من هذه التهمة يمكنني أن أتقدم بالتماس إليك . لماذا تشق على نفسك بالتدخل في هذا الموضوع ؟ إذا أقسمت لك بشرفي أن العدالة.. والعدالة وحدها قد أخذت مجراها فهل تنفض يديك من الموضوع كله؟ لقد كان الشقاء يظلل عددا من الأبرياء المسالمين ، وهم الآن يعيشون في أمن وسلام وأمل في السعادة ، فلماذا تحاول أن تحطم هذا كله؟

ركز "**بوارو**" نظراته عليها ثم قال :

– صارحيني يا سيدتي .. ماذا تريدين مني أن أفعل ؟

– إنني أطلب منك أن توافق على ما أقول وهو أن السيدة "**بونتون**" ماتت ميتة طبيعية ..

– أرجو أن تحددي الموقف . إنك تعتقدين أن السيدة "**بونتون**" ماتت مقتولة، ولكنك تريدين مني أن أتجاوز عن هذا ..؟

– إنني أطلب منك الرحمة ..

– الرحمة لشخص لا يعرف معنى الرحمة ؟ ..

– إنك لا تفهم الحقيقة .. الأمر ليس كهذا .

– هل ارتكبت أنت هذه الجريمة يا سيدتي حتى تعرفي الحقيقة كلها ؟

فهزت "**نادين**" رأسها وقالت بهدوء :

– لا .. لقد كانت على قيد الحياة حين انصرفت عنها ..

– إذن ماذا حدث ؟ إنك إما تعلمين عن يقين أو ترتابين ..

– لقد سمعت يا سيد "**بوارو**" أنك في جريمة في قطار الشرق قد قبلت حلا غير رسمي في موقف مماثل لهذا ..

فنظر إليها دهشا وقال :

– من قال لك هذا ؟ ..

– سمعت .. فهل ما سمعته صحيح ؟ ..

– لقد كانت الظروف مختلفة .

– لا .. لقد كان الرجل القتيل شريرا .. كما كانت هي .

– إن أخلاق المجني عليه لا دخل لها في أمر كهذا .. وإن الشخص الذي يعطي لنفسه حق القصاص من الغير بلا سند قانوني يمكن أن يتمادى ويصبح خطرا على المجتمع ، ولهذا يجب التخلص منه أو الحد من خطره .

– ما أشد صلابتك ! ..

– سيدتي .. إنني عنيد في بعض الظروف . ولا يمكن أن أتسامح مع شخص يرتكب جريمة قتل ، هذه هي كلمة "**هيركيول بوارو**" الأخيرة .

فنهضت قائلة وقد تطاير الشرر من عينيها :

– إذن اذهب واجلب الشقاء على رءوس أناس أبرياء معذبين .. أما أنا فلم يعد لديّ ما أقول ..

– ولكن ماذا حدث بعد أن انصرفت عن السيدة "**بونتون**" وذهبت إلى زوجك في حديقة الاستراحة ؟

– ومن أين لي أن أعرف ؟ ..

– إنك تعرفين أو .. ترتابين على الأقل ..

فقالت وهي تنصرف من الغرفة :

– إنني لا أعرف شيئا يا سيد "**بوارو**" ..

- 15 -

بعد انصراف "**نادين**" ، كتب "**بوارو**" في مفكرته هذه العبارة : "**نادين بونتون**" : الساعة 4:40 بعد الظهر .

ثم استدعى أحد رجال الشرطة وطلب منه استدعاء الآنسة "**كارول بونتون**" .

فلما أقبلت هذه ، نظر إليها "**بوارو**" باهتمام ولاحظ اضطراب أعصابها في ارتعاد أصابع يديها الجميلتين ، وشحوب وجهها وقال لها محييا :

– تفضلي بالجلوس يا آنسة "**كارول**" ..

ولما جلست في خضوع قال لها :

– الآن .. أرجو منك أن تخبريني بكل ما تعرفين عما حدث بعد ظهر اليوم الذي حدثت فيه الوفاة .

أجابت بسرعة جعلت "**بوارو**" يشك في أنها تحفظ الإجابة عن ظهر قلب :

– لقد ذهبنا إلى نزهة .. ثم عدت إلى المعسكر ..

– لحظة واحدة من فضلك .. هل ذهبتم معا .. جميعا ؟

– لا .. لقد كنت معظم الوقت مع أخي "**ريموند**" أو مع الآنسة "**كنج**" ، ثم انفردت بنفسي ..

– شكرا .. ثم عدت إلى المعسكر .. متى على وجه التقريب ؟

– أعتقد أن الساعة كانت الخامسة وعشر دقائق .

ودون "**بوارو**" في مفكرته هذه العبارة "**كارول بونتون**" : الساعة 5:10 بعد الظهر تقريبا ..

ثم قال لها :

– وبعد ذلك ؟ ..

– كانت أمي جالسة حيث تركناها .. فذهبت إليها وتحدثت معها ، ثم مضيت إلى خيمتي ..

– هل تذكرين الحديث الذي دار بينكما ؟ ..

– قلت لها فقط إن الجو حار وإني سأستريح قليلا في خيمتي . وقالت هي إنها ستبقى في مكانها .. هذا هو كل شيء ..

– ألم يكن في مظهرها شيء خاص لفت نظرك ؟ ..

ففكرت برهة ثم قالت :

– أتذكر الآن فقط أن وجهها كان شديد الاحمرار ؟ ..

– ربما كان من صدمة تلقتها ؟ ..

– صدمة ؟ !

– نعم .. أو لعلها كانت غاضبة بسبب تصرف أحد العمال في المعسكر ؟

– ربما . .

– كأنما لم تخبرك بشيء ؟ . .

– لا . . مطلقا . .

– وماذا فعلت بعد ذلك ؟ . .

– عدت إلى خيمتي ورقدت نحو نصف ساعة ، ثم توجهت إلى حديقة الاستراحة حيث كان أخي وزوجته جالسين يقرآن .

– فرغت من خياطة قطعة ملابس ، ثم التقطت مجلة .

– هل تحدثت مع أمك مرة أخرى عند توجهك إلى حديقة الاستراحة ؟

– لا . . لقد توجهت إلى الحديقة فورا . . بل أعتقد أنني لم ألتفت إلى حيث كانت أمي جالسة . .

– وبعد ذلك ؟

– بقيت في حديقة الاستراحة حتى . . نقلت إلينا الآنسة "**كنج**" نبأ وفاتها . .

– وماذا كان شعورك عندئذ يا آنسة "**كارول**" ؟

فحملقت إلى وجهه برهة ، ثم قالت :

– كانت صدمة شديدة . .

– أحقا ؟ ! . .

– ماذا تعني يا سيد "**بوارو**" ؟

– هل كانت صدمة شديدة حقا ؟ ألا تذكرين حديثا دار بينك وبين "**ريموند**" في ليلة ما بمدينة "**القدس**" ؟ . .

أصابت كلماته الصميم ، فإذا وجهها يمتقع بشدة ، وإذا هي تقول هامسة :

– هل تعرف هذا ؟ . .

– نعم . .

– ولكن . . كيف ؟ .

– سمعت جزءا من هذا الحديث وأنا أغلق نافذة غرفتي . .

دفنت "**كارول**" وجهها بين يديها وبكت ، وقال "**بوارو**" :

– كنت تتآمرين مع أخيك "**ريموند**" على قتل زوجة أبيكما ؟

وبصوت تقطعه شهقات البكاء ، قالت :

– كنا مجنونين .. مجنونين في تلك الليلة ..

– ربما ..

– إن من المستحيل عليك أن تتصور الحالة النفسية التي كنا عليها . لقد كان عذابنا محتملا في "**أمريكا**" .. أما بعد أن رأينا الدنيا وجمالها ، فقد تضاعف شعورنا بالسجن والحرمان، وهكذا انتابنا الشعور باليأس ولا سيما بسبب حالة "**جيني**" ..

– "**جيني**" ؟! ..

– شقيقتي الصغرى .. "**جنيفرا**" . إنك لم ترها .. لقد بدأت قواها العقلية تختل من فرط الضغط الواقع عليها . وكنت أخشى ، مع "**ريموند**" ، أن ينتهي بها الأمر إلى الجنون التام . وقد وافقتنا "**نادين**" على هذا ، و "**نادين**" تعرف في مثل هذهِ الأمور الصحية أكثر منا .

– نعم .. نعم .. بالتأكيد ..

– وفي تلك الليلة في "**القدس**" ، كانت حالتنا النفسية قد بلغت الذروة من السوء مما جعلنا نظن أن التآمر على قتل زوجة أبينا أمر ضروري ، وليس فيه ما يسيء إلى أحد .. لقد آمنا عندئذ أنها مجنونة تماما .. إنني لا أعرف رأيك في أمر كهذا . ولكني أعتقد أن قتل إنسان في بعض الأحوال يعتبر فعلا نبيلا ..

فأومأ "**بوارو**" برأسه وقال :

– وهذا ما يبدو أحيانا ، وما أثبته التاريخ ! ..

– وهذا ما شعرت به أنا و "**ريموند**" في تلك الليلة . ولكننا لم ننفذ أقوالنا .. نعم .. لم ننفذها بطبيعة الحال . فعندما أشرقت شمس الصباح ، بدت لنا أقوالنا غريبة شاذة مضحكة ! بل وشريرة أيضا . أجل يا سيد "**بوارو**" .

لقد ماتت أمنا ميتة طبيعية جدا بسبب مرضها بالقلب ، وليس لي أو لـ"**ريموند**" أي يد في موتها ..

قال "**بوارو**" بهدوء :

– هل تقسمين يا آنسة أمامي بأن موت السيدة "**بونتون**" لم يتسبب عن أي تصرف منك ؟ . .

فرفعت "**كارول**" رأسها وقالت بصوت ثابت عميق :

– أقسم بالله أني لم أسئ إليها يوما . . .

– هكذا الأمر إذن ؟ ! . .

وفجأة أردف قائلا :

– ما الخطة التي فكرتما في اتخاذها لقتل السيدة "**بونتون**" ؟

– لم تكن لدينا أي خطة، ولم نصل بتفكيرنا إلى هذا الحد . .

نهض "**بوارو**" وقال :

– هل تسمحين بإرسال أخيك "**ريموند**" يا آنسة ؟ . .

ونهضت بدورها وقالت مترددة . .

– هل صدقتني يا سيد "**بوارو**" ؟

– هل يبدو عليّ أني لا أصدقك ؟

– لا . . ولكن . .

ثم استدارت ومضت إلى الباب . . وهناك توقفت والتفتت إلى "**بوارو**" ثم قالت :

– لقد قلت لك الحقيقة كلها . .

ولم يجب "**بوارو**" . .

وانصرفت هي من الغرفة ببطء . .

- 16 -

لاحظ "**بوارو**" الشبه الكبير بين "**ريموند**" وأخته "**كارول**" . . وكان الشاب عند دخوله يبدو ثابت الجنان ، متمالك الأعصاب ، وبعد أن جلس في مقعده ،

حملق إلى وجه "**بوارو**" وقال :

– حسنا ! . .

وقال "**بوارو**" بهدوء :

– هل تحدثت أختك معك ؟ . .

– نعم عندما طلبت مني أن آتي إليك . ومن حقك بالتأكيد أن ترتاب في أمرنا بعد أن سمعت حديثنا في تلك الليلة . . . ولكني أؤكد لك أن هذا الحديث كان حلم ليلة صيف . . لا أكثر . لقد كنا نعاني إرهاقا عصبيا عنيفا وكان الحديث عن قتل زوجة أبينا مجرد تخفيف عن حالتنا العصبية فقط .

– هذا محتمل جدا . .

– وفي الصباح بدت لنا أقوالنا مضحكة . . وأقسم لك يا سيد "**بوارو**" أنني لم أفكر في هذا الموضوع بعد ذلك . . .

ولما لم يقل "**بوارو**" شيئا ، استطرد "**ريموند**" قائلا :

– أوه . . نعم . . إن من السهل على أي إنسان أن يقول هذا ، أن يقول إنه بريء ، وإنه لم يفكر في إيذاء أحد . . وأنا لا أتوقع أن تصدقني بلا دليل يؤكد أقوالي . . ولكن عليك أن تراعي هذه الحقائق . لقد تحدثت مع أمي قبل السادسة بقليل ، وكانت على قيد الحياة عندئذ . ثم دخلت خيمتي واغتسلت ثم انضممت إلى الجميع في حديقة الاستراحة ، وبقيت فيها مع "**كارول**" أمام الجميع دون أن نتحرك من مكاننا حتى سمعنا نبأ وفاتها . إنني أؤكد لك يا سيد "**بوارو**" أن وفاتها كانت طبيعية ، ولا يمكن أن تكون غير هذا . . لقد كان المكان مليئا بالعمال العرب الرائحين والغادين . .

– هل تعرف يا سيد "**ريموند بونتون**" أن الآنسة "**سارة**" تؤكد أن زوجة أبيك كانت قد ماتت قبل ساعة ونصف ساعة على الأقل من السادسة والنصف حين اكتشفت وفاتها . . أي إن موتها كان في الخامسة مساء على الأقل . .

فحملق "**ريموند**" في وجهه مصعوقا ثم قال :

– هل قالت "**سارة**" هذا ؟

– نعم .. فما رأيك ؟ ..

– ولكن .. ولكن هذا مستحيل ..

– هذه هي شهادة الآنسة "**سارة كنج**" . وها أنت ذا الآن تأتي وتخبرني بأن زوجة أبيك كانت على قيد الحياة قبل أربعين دقيقة من اكتشاف وفاتها ! ..

– ولكنها كانت كذلك ؟ ..

– كن حريصا في أقوالك يا سيد "**ريموند بونتون**" ..

– لا شك أن "**سارة**" أخطأت التقدير .. لابد أن هناك عوامل أخرى غفلت عنها .. مثل انعكاس الحرارة على الصخور أو شيء من هذا القبيل .. إنني أؤكد لك يا سيد "**بوارو**" أن أمي كانت على قيد الحياة قبل السادسة بقليل وأني تحدثت إليها ..

ولما لم يقل "**بوارو**" شيئا ، انحنى "**ريموند**" إلى الأمام وقال :

– أتثير يا سيد "**بوارو**" كل هذه الشكوك لأنك سمعت ذات ليلة حديثا مضحكا دار بين أخ وأخت يعانيان إرهاقا عصبيا ؟ ..

فهز "**بوارو**" رأسه وقال :

– إنك مخطئ في هذا يا سيد "**بونتون**" .. هناك شيء آخر أهم ، هناك السم الذي أخذ من حقيبة أدوية الدكتور "**جيرار**" ..

فحملق "**ريموند**" إلى وجهه وقال :

– سم ؟!!

ثم نهض وأزاح المقعد بعيدا عنه وأردف قائلا :

– أهذا ما ترتاب فيه ؟ ..

– أكانت خطتك تختلف عن هذه ؟ .

فقال "**ريموند**" بلا حرص :

– أوه .. نعم ! إن هذا يغير كل شيء إنني لا أستطيع أن أركز تفكيري في شيء الآن ..

– ماذا كانت خطتكما ؟ ..

– خطتنا ؟ .. كانت ..

أمسك "**ريموند**" عن الحديث فجأة وقد التزم جانب الحذر ثم قال :

– أعتقد أنني لن أقول شيئا أكثر مما قلت ..

– حسنا .. كما تشاء .

ثم راح يرقب الشاب وهو ينصرف من الغرفة ..

وأخيرا تناول المفكرة وراح يكتب فيها بخط دقيق أنيق هذه العبارة : "**ريموند بونتون**" : الساعة 5.55 بعد الظهر .

ثم تناول ورقة كبيرة وراح يدون فيها شيئا . فلما فرغ تراجع في مقعده وراح يتأمل ما دونه .. وكان كما يلي :

غادر آل "**بونتون**" والسيد "**كوب**" المعسكر في الساعة 3.5 تقريبا .

غادر الدكتور "**جيرار**" والآنسة "**سارة كنج**" المعسكر في الساعة 3.15 تقريبا.

غادرت السيدة "**وستولم**" والآنسة "**بيرس**" المعسكر الساعة 4.15 .

عاد "**لينوكس بونتون**" في الساعة 4.35 تقريبا .

عاد الدكتور "**جيرار**" في الساعة 4.20 تقريبا .

عادت "**نادين بونتون**" إلى المعسكر وتحدثت مع السيدة "**بونتون**" في الساعة 4.50 .

عاد "**ريموند**" إلى المعسكر في الساعة 5.50 .

عادت "**سارة كنج**" إلى المعسكر في الساعة 6.00 .

اكتشفت الوفاة في الساعة 6.30 .

- 17 -

طوى "**بوارو**" هذا الجدول ثم أمر باستدعاء المرشد السياحي "**محمود**" ، فأقبل هذا بجسمه المتين وابتدره "**بوارو**" بقوله :

– ماذا كنت تفعل مع عمالك في الساعة الخامسة والنصف مساء يوم الوفاة ؟

– الساعة الخامسة والنصف ؟ لم يكن أحدنا يعمل شيئا . لقد أعددنا الغداء في الثانية ، ثم رفعنا بقاياه في الثالثة إلا ربعا تقريبا ، ونام جميع السائحين بعد ذلك أو على الأقل دخلوا خيامهم ، وفي الساعة الخامسة خرجت إلى حديقة الاستراحة لأشرف على مطالبهم وأقدم الشاي لمن يريد منهم، ولكنني لم أجد أحدا .. كانوا جميعا قد خرجوا للنزهة في الجبل . واغتبطت بهذا ، وعدت إلى خيمتي لأستأنف النوم . وفي الساعة السادسة إلا ربعا بدأت المتاعب .. لقد عادت السيدة الإنجليزية وطلبت إعداد الماء الساخن لها كي تصنع إبريقا من الشاي هذا بينما كان العمال يجهزون المائدة للعشاء . وقد أثارت ضجة كبيرة عن مياه الشرب قائلة إن هذه المياه يجب أن تغلى قبل تناولها ، وإنني يجب أن أشرف على هذا بنفسي ..

– لقد علمت أن السيدة "**بونتون**" قبل وفاتها كانت غاضبة على أحد العمال، فهل تعرف من هو العامل الذي أثار غضبها ؟

– ومن أين لي أن أعرف ؟ إن السيدة العجوز لم تشك العامل إليّ ..

– ألا يمكنك أن تتحرك وتعرف من هو ؟ ..

– لا يا سيدي .. هذا مستحيل .. لأن العمال لن يعترفوا لي الآن بارتكاب أي خطأ .. أتقول إن السيدة العجوز كانت غاضبة ؟ حسنا .. من الطبيعي أن يحاول العامل المخطئ أن ينكر كل شيء ..

- 18 -

كانت "**سارة كنج**" جالسة على ربوة وهي مشغولة الفكر تقتطف بعض الأزهار القريبة منها . وأقبل الدكتور "**جيرار**" وجلس بجوارها فلما شعرت به ، قالت له بلهجة حادة :

– لماذا أثرت كل هذه المشكلات يا دكتور **"جيرار"** ؟ فلولا أقوالك . .

فقاطعها الدكتور **"جيرار"** قائلا ببطء :

– هل كنت تفضلين أن التزم الصمت ؟ . .

– لقد كنت محموما، حرارتك مرتفعة جدا . . وهذا يعني أنك لم تكن في حالة تجعل تفكيرك واضحا وصافيا . ومن المحتمل أن يكون المحقن موجودا مكانه دون أن تراه طيلة الوقت . ولعلك قد أخطأت في تقدير كمية عقار الديجيتوكسين التي كانت لديك ، أو لعل أحد العمال عبث بها . .

فقال **"جيرار"** في لهجة واقعية :

– لا داعي لهذا القلق . . إن الأدلة ضعيفة وغير واقعية . وسوف ترين بنفسك كيف سينجو أصدقاؤك من آل **"بونتون"** من العقاب .

فهتفت **"سارة"** بعنف :

– أترى . . ؟ إن أحدا منهم لم ينج منها في النهاية ! حتى وهي في قبرها لا تزال تمسك بهم ! لقد كانت رهيبة في حياتها . . ورهيبة في موتها . . وإني لأشعر أنها الآن تستمتع بما يعانونه من أجلها .

وفجأة قالت بصوت مختلف اللهجة تماما :

– هو ذا الرجل القصير الأصلع مقبل نحونا . .

– إنه السيد **"بوارو"** . . لعله آت للبحث عنا . .

ولما وصل **"بوارو"** إليهما ، مسح جبينه ثم قال وهو يلهث :

– يا لهذه البلاد الصخرية . . مسكين حذائي . .

فقالت **"سارة"** بجفاء :

– يمكنك أن تستعير أدوات تنظيف الأحذية من السيدة **"وستولم"** . .

فهز **"بوارو"** رأسه وقال :

– إن أدواتها لا تستطيع أن تزيل الخدوش !

– ربما . . ولكن لماذا بحق السماء ترتدي حذاء ثمينا في منطقة صخرية كهذه؟

– إنني أحب أن أبدو دائما في أحسن مظهر ..

– حتى في المناطق الصحراوية ؟

فقال "**جيرار**" :

– إن النساء لا يكن في أحسن مظهر بالمناطق الصحراوية .. فرغم أن الآنسة "**كنج**" تبدو أنيقة ونظيفة دائما ، فإن السيدة "**وستولم**" لا تبدو كذلك بملابس الركوب الخشنة يا لها من امرأة رهيبة المنظر ! وتلك المسكينة الآنسة "**بيرس**" .. إن ملابسها دائما مسترخية كأوراق الكرنب الذابلة .. حتى السيدة "**نادين بونتون**" التي تتمتع بجمال باهر لا تبدو أنيقة .. إن ملابسها لا تلفت الأنظار إعجابا .

وقالت "**سارة**" في لهجة لا تخلو من التهكم :

– أعتقد أن السيد "**بوارو**" لم يصعد إلينا ليتحدث عن الملابس النسائية ..

فقال "**بوارو**" :

– صدقت ! لقد جئت لأستشير الدكتور "**جيرار**" .. إن لآرائه قيمتها الكبيرة في نظري ، وكذلك آراؤك يا آنسة "**كنج**" . إنك شابة وعلى إلمام بأحدث نظريات علم النفس .. إنني أريد أن أعرف كل ما يمكن معرفته عن السيدة "**بونتون**" .

فقالت "**سارة**" :

– ألم تعرف حتى الآن كل شيء عنها ؟ ..

قال "**بوارو**" :

– هناك أشياء ما زلت أجهلها .. فمثلا ما السبب الذي جعل السيدة "**بونتون**" تقوم بهذه الرحلة مع علمها بأن رحلة كهذه قد تفتح في أذهان سجنائها آفاقا جديدة وتجعلهم يفكرون جديا في التمرد عليها ؟

فابتسم الدكتور "**جيرار**" وقال :

– إن تفسير هذا الموقف سهل جدا .. إنه نابع من الملل .. لقد ملت السيدة "**بونتون**" حياتها بعد أن نجحت تماما في إخضاع أفراد أسرتها لإرادتها .. ولهذا رأت أن تغزو – مثل الإسكندر – آفاقا جديدة تمارس فيها نزعتها نحو السيطرة

ومن ثم فكرت في هذه الرحلة وهي تعلم أن سجناءها سوف يحاولون التمرد عليها ، وهذا سيتيح لها لونا من الصراع المثير من أجل إعادتهم إلى الأقفاص .. تماما كما تفعل مروضة الوحوش .

تنهد "**بوارو**" بعمق ثم قال :

– نعم .. نعم .. هذه هي الحقيقة الكاملة .. وإن كل شيء يتفق معها ، وإن الأم "**بونتون**" قد دفعت الثمن في النهاية ..

فانحنت "**سارة**" إلى الأمام وقالت :

– هل تعني أنها أسرفت في قسوتها على ضحاياها حتى دفعتهم أو دفعت أحدهم إلى افتراسها ؟ ..

فلما أومأ "**بوارو**" برأسه قالت :

– من هو .. أو هي ؟ !

لم يجب "**بوارو**" .. وإنما راح يركز نظرته على فتاة تسير بجوار الربوة .. كانت تسير بخطوات رشيقة خفيفة وقد عكس شعرها الذهبي ضوء الشمس ورفت على شفتيها ابتسامة حالمة ..

وتنفس "**بوارو**" في عمق ثم قال :

– ما أجملها .. وما أجمل وجهها الحالم وخطواتها الرشيقة .. هكذا يجب أن تمثل "**أوفيليا**" في المسرح .. مثل إلهة شابة تسير في عالم غريب وقد امتلأت بالسعادة لتحررها من آلام البشر ..

وقال "**جيرار**" :

– نعم .. نعم . إنك على حق .. إنه وجه يحلم به الإنسان . أليس كذلك .؟ لقد حلمت به وأنا أعاني الحمى في خيمتي بمنطقة "**بطرا**" .. لقد فتحت عيني لأرى هذا الوجه الحالم والبسمة العذبة .. ما أجمله حلم ، وعندما استيقظت شعرت بالأسف .

ثم أردف قائلا وقد استرد هدوءه :

– إنها "**جنيفرا بونتون**" ..

- 19 -

بعد لحظة كانت للفتاة قد وصلت إليهم .. وقام الدكتور "**جيرار**" بمهمة التعارف ، ونظرت "**جنيفرا**" باهتمام إلى "**بوارو**" الذي قال لها برفق :

– هل تتكرمين بالسير معي قليلا يا آنسة "**جنيفرا بونتون**" .

وسارت بوداعة معه ، فلما ابتعدا ، قالت له فجأة :

– إنك مفتش مباحث خاص ، أليس كذلك يا سيد "**بوارو**" ؟

– بلى .. ومشهور جدا ..

– أشهر مفتش مباحث في الدنيا .. ولا شك أنك جئت هنا لحمايتي .

– هل أنت في خطر يا آنسة ؟ ..

– نعم .. لقد أخبرت الدكتور "**جيرار**" في مدينة "**القدس**" أنني لست أحد أفراد أسرة "**بونتون**" .. إنني أميرة ملكية متخفية ، إنهم يريدون قتلي ، ولهذا يجب أن أتخذ جانب الحذر دائما ..

فأومأ "**بوارو**" برفق وقال :

– أهكذا ؟ ..

– نعم .. ولكن الدكتور "**جيرار**" إنسان طيب القلب .. إنه يحبني بكل جوارحه ..

– يحبك ؟ ..

– نعم .. كان يذكر اسمي في نومه .. لقد رأيته هناك .. في خيمته يتقلب ويذكر اسمي .. وتسللت خارجة .. وكنت أظن أنه استدعاني . إن أعدائي كثيرون ، وهم حولي في كل مكان .. وبعضهم يتنكرون في ملابس غريبة الشكل!

– أين كنت يا آنسة "**جنيفرا**" بعد ظهر يوم الوفاة ؟ ..

– كنت في خيمتي .. وكان الجو حارا داخلها ، ولكنني لم أجرؤ على الخروج

خوفا من أن يقتلوني .

ثم ارتعدت وأردفت قائلة :

– لقد أطل واحد منهم برأسه داخل خيمتي ، وكان متنكرا في مِلابس العرب وتظاهرت بالنوم . وكان هذا الشيخ يريد أن يختطفني .

سار الاثنان فترة في صمت .. وأخيرا قال "**بوارو**" :

– إن أقاصيصك هذه بارعة جدا ..

فضربت الأرض بقدميها وقالت غاضبة :

– هذه ليست أقاصيص يا سيد "**بوارو**" .. إنها حقائق ..

ثم استدارت وانطلقت بعيدا عنه هابطة الربوة .

وبينما كان "**بوارو**" يشيعها بنظراته ، سمع وراءه صوتا يقول :

– ماذا قلت لها ؟

كان المتحدث هو الدكتور "**جيرار**" ، وكانت "**سارة**" في طريقها إليهما .. وبعد أن سار الثلاثة برهة ، قال "**بوارو**" مجيبا :

– قلت لها : إنها تخيلت لنفسها أقاصيص جميلة ..

– ويبدو أنها غضبت ! إن غضبها هذا فأل حسن .. إنه يدل على أنها لم تفقد عقلها تماما .. وأعتقد أنني سأستطيع علاجها والأخذ بيدها إلى الشفاء .

– آه ! إنك ستتولى علاجها إذن ؟ ..

– نعم .. لقد تحدثت في هذا الموضوع مع السيد "**لينوكس**" وزوجته . ولسوف تحضر "**جنيفرا**" إلى "**باريس**" وتدخل إحدى المصحات التي أشرف عليها . وبعد ذلك سنلحقها بمعهد للتمثيل ..

– التمثيل ؟ !

– نعم .. إنها ستنجح في هذه المهنة نجاحا كبيرا ، لأنها في الواقع قد ورثت عن أمها حب السيطرة والطموح .. والتمثيل .. إنها على المسرح تستطيع أن تتقمص أية شخصية تتمنى أن تكونها ..

وبعد أن فرغ من حديثه ، انحنى ، واستأذن للانصراف . وعندئذ قالت

"**سارة**"لـ"**بوارو**" بعد أن سارا معا برهة :

– إنني لا أتفق معه في أنها ورثت عن أمها تلك الصفات الرهيبة ، وذلك رغم أنني شعرت نحو تلك المرأة بالعطف يوما ..

– أحقا ؟ متى كان ذلك ؟ ..

– في "**القدس**" .. في بهو الفندق .. لقد أحسست فجأة أنها إنسانة جديرة بالعطف والإشفاق ، وخيل إليّ أن من واجبي أن أترفق بها وأجعلها تشعر بما في النفس البشرية من خير ، فلما ذهبت إليها وتحدثت معها لمحت السيدة "**وستولم**" جالسة بالقرب منا ، وخطر لي أنها تسمع حديثنا ، وعندئذ انتابني الخجل والارتباك وأحسست أنني ارتكبت أكبر حماقة ..

– هل تذكرين الكلمات التي قالتها لك السيدة "**بونتون**" في ذلك الوقت؟..

– أعتقد هذا .. كانت الكلمات غريبة ، وإن غرابتها هي التي جعلتني أتذكرها لقد قالت لي وهي تحملق إلى ما ورائي: "إنني لا أنسى أبدا .. تذكري هذا .. إنني لا أنسى شيئا قط ، ولا تصرفا ، ولا اسما .. ولا وجها" ..

ارتعدت "**سارة**" وأردفت قائلة :

– كانت تقول هذه العبارة بلهجة كلها الشر .. وإني لأكاد أسمع صوتها الآن..

التفتت إليه فجأة وقالت :

– السيد "**بوارو**" .. هل وصلت في تحرياتك إلى شيء محدد ؟ ..

– نعم ..

– ماذا ؟ ..

– عرفت مثلا أن "**ريموند**" كان يتحدث إلى أخته "**كارول**" في تلك الليلة بـ"**القدس**" ..

– هل .. هل أخبرته ؟ ..

فنظر إليها طويلا ثم قال :

– هل يهمك الأمر يا آنسة "**كنج**" ؟ !

– جدا .. ولكني أريد أن أعرف ..

– لقد أخبرته فعلا ، ولكنه قال : إن حديثه كان نابعا من توتره العصبي ، وإنه نسي كل شيء في الصباح، والآن هل يمكن أن تخبريني يا آنسة "**كنج**" ماذا يخيفك في هذا الأمر ؟ صمتت برهة ثم قالت :

– في عصر ذلك اليوم .. كنت معه .. مع "**ريموند**" في الجبل .. وقد صارح كل منا الآخر بحبه .. وقال لي إنه يجب أن يفعل شيئًا قبل أن تخونه شجاعته، وقد ظننت أنه يعني الرغبة في مصارحتها بحبه لي .. ولكن .. لنَفرض أنه كان يعني ....

ثم صمتت فجأة ..

◆◆◆◆◆

خرجت "**نادين**" من فندقها بمدينة "**عمان**". وعندئذ التقت بالسيد "**كوب**" الذي كان واقفًا في انتظارها .. وقد قال لها :

– هل نتمشى قليلا يا "**نادين**" ؟ ولما وصلا إلى الربوة المكسوة بالأزهار، قالت له فجأة :

– إنني آسفة يا سيد "**كوب**" .. أريد أن أصارحك بأمر خطير ..

– بالتأكيد .. بالتأكيد يا عزيزتي .. قولي ما شئت دون أن تشقي على نفسك. وبعد تردد وجيز قالت :

– إنك إنسان طيب القلب يا "**جيفرسون**" ، وصبور، وقد عاملتك معاملة سيئة. فقاطعها قائلا :

– أرجوك يا "**نادين**" .. لا داعي لأن تزعجي نفسك بشأني .. إنني أعرف ماذا تريدين أن تقولي .. لقد تغيرت الأحوال الآن، وأشعر أن في مقدورك أن تستأنفي حياة سعيدة مع "**لينوكس**" .. أليس كذلك؟ فنظرت إليه شاكرة، ثم قالت :

– بلى يا "**جيفرسون**" .. إنني لن أستطيع التخلي عن "**لينوكس**" .. هل تغفر

لي؟

– لا شيء يستحق أن أغفره لك.. ولكن يكفي أن نستمر صديقين حميمين كما كنا، وما عليك إلا أن تنسي حديثنا في عصر ذلك اليوم. فوضعت يدها على ذراعه في رفق، ثم قالت:

– شكراً لك يا عزيزي "**جيفرسون**".. لسوف أذهب الآن لأتحدث إلى "**لينوكس**"..

- 20 -

التقى "**بوارو**" في أثناء عودته إلى الفندق بالآنسة "**بيرس**" التي اندفعت تقول بحماس:

– لم أكن أعرف إلا في هذا الصباح أنك السيد "**هيركيول بوارو**" المشهور، لقد قرأت الكثير عنك يا سيدي، ولشد ما تمنيت أن أقابلك؛ لأخبرك بما رأيت.. إن الإنسان يجب ألا يغفل عن أي شيء ولو كان صغيراً في مثل هذه الظروف.. أقصد تحرياتك عن وفاة السيدة "**بونتون**" المسكينة. تصور أن ابنتها الصغرى تعتقد أنها أميرة من بيت ملك؟

يا للعجب! آه ماذا كنت أقول..! نعم.. لابد أن السيدة "**بونتون**" قتلت، وإلا لما اهتممت أنت بالأمر، لا شك في هذا. فقاطعها "**بوارو**" قائلا:

– حسناً.. حسناً يا آنسة "**بيرس**".. ماذا تريدين أن تقولي لي؟

– إن ما رأيته ليس بالأمر الخطير.. ولكن من واجبي أن أخبرك به. لقد استيقظت في الصباح التالي ليوم الوفاة مبكرة أكثر من المعتاد، وانتهزت هذه الفرصة لأتمتع بشروق الشمس، وأنت تعرف أن الشروق في هذه المناطق..

– نعم.. نعم.. وماذا رأيت؟

– فوجئت برؤية إحدى ابنتي آل "**بونتون**" تلقي بشيء إلى الجدول وليس في

هذا ما يثير الانتباه، ولكن هذا الشيء كان يلمع.

– أي الابنتين؟

– أعتقد أنها التي يدعونها "**كارول**" .. وربما كانت الصغرى. لقد كان ظهرها إليّ، والشمس في عيني.. ولكن الصغرى شعرها ذهبي يميل إلى الاحمرار، بينما شعر "**كارول**" ذهبي يميل إلى الاصفرار.. ولهذا أرجح أنها "**كارول**" .

– رأيتها تلقي بشيء يلمع؟!

– نعم.. ولم أهتم بالأمر، ولكنني حين سرت على ضفة الجدول بعد ذلك، رأيت الآنسة "**كنج**" هناك.. ورأيت أيضًا بين المخلفات على الضفة صندوقًا معدنيًا صغيرًا أدركت أنه هو الذي ألقت به الآنسة "**كارول**" إلى الجدول.. إنه صندوق معدني من النوع الذي يحتفظ فيه بالمحقن الزجاجي.. ورأيت أن أتناول الصندوق؛ لأرى ما بداخله.. وقد وجدت المحقن فيه سليمًا غير مكسور.. وعجبت بالتأكيد.. ولكن الآنسة "**كنج**" تحدثت ورائي ولم أشعر بها وهي آتية.. قالت إن هذا المحقن يخصها وإنها جاءت تبحث عنه، ثم أخذته وانصرفت. واستطردت الآنسة "**بيرس**" تقول:

– ولم أهتم كثيرًا بالأمر وإن كنت قد تساءلت في نفسي عن السبب الذي يجعل الآنسة "**كارول**" تقذف بمحقن الآنسة "**كنج**" إلى الجدول حتى يسقط على الضفة بين النفايات.. إن هذا التساؤل هو الذي جعلني أخبرك بالأمر..

– شكرًا جزيلا يا آنسة "**بيرس**" .. لقد زودتني بالحلقة الأخيرة التي أستكمل بها سلسلة تحرياتي. لقد أصبح كل شيء الآن واضحًا كل الوضوح. فهتفت الآنسة "**بيرس**" في بهجة التلميذ السعيد:

– حقًا؟ ما أسعدني بهذا! وبعد أن صحبها إلى الفندق، وقف برهة يدوّن في ورقة معه:

– إنني لا أنسى.. تذكري هذا.. إنني لا أنسى أبدًا شيئًا و.. ثم أردف قائلا لنفسه:

– نعم.. نعم.. إن كل شيء أصبح واضحًا الآن.

-21 -

أتم "**بوارو**" استعداداته لمواجهة جميع الذين تدور حولهم شبهات ارتكاب الجريمة.. وقد اتخذ من إحدى غرف الفندق ما أسماه مسرحا للفصل الأخير، وفي جانب من هذا المسرح جعل أفراد أسرة "**بونتون**" يجلسون معًا: "**ريموند**"، و"**كارول**"، و"**لينوكس**"، و"**نادين**" و"**جنيفرا**" وفي الجانب الآخر جعل "**سارة**" والدكتور "**جيرار**" والسيد "**كوب**" يجلسون معًا، وأمامهم جميعًا جلس العميد "**كاربري**"، أما هو فقد وقف وقال لهم بعد أن تكامل جمعهم:

– أيها السادة والسيدات، إن اجتماعنا هذا ليست له أية صفة رسمية، وكل ما في الأمر أن العميد "**كاربري**" شرفني وطلب إليّ العمل على معرفة الحقيقة عن وفاة السيدة "**بونتون**". وهنا قال "**لينوكس**" في حدة:

– ولماذا كل هذه الضجة والوفاة طبيعية؟ فقال العميد "**كاربري**":

– كان كل شيء يدل على أن الوفاة طبيعية فعلا.. الرحلة الشاقة، وإجهاد السيدة "**بونتون**"، ومرضها بالقلب، وكبر سنها. ولكن الدكتور "**جيرار**" تطوع ببلاغ في صبيحة اليوم التالي عن وفاة السيدة "**بونتون**" قال فيه إن كمية من عقار شديد المفعول أخذت من حقيبة أدويته، وإن محقنًا أخذ في يوم الوفاة من حقيبته، ثم أعيد إلى مكانه في أثناء الليل أو الصباح. كما لوحظ على معصم السيدة المتوفاة علامة ناشئة من وخز إبرة محقن طبي..

وخيم على الجميع صمت عميق بحيث لو سقط في الغرفة دبوس لكان له رنين مسموع.. والتقط "**بوارو**" حبل الحديث وقال:

– أخبرني العميد "**كاربري**" بشكوكه، ولكنني صارحته بأني قد أعجز عن إقامة الدليل الكافي لإدانة الجاني أمام المحكمة، إلا أن هذا لا يمنع من إظهار الحقيقة كاملة عن هذه الوفاة– وذلك بسهولة– عن طريق توجيه الأسئلة إلى الأشخاص الذين كانوا مع السيدة "**بونتون**". وأحب أن أذكر لكم أيها

الأصدقاء، أن أفضل وسيلة لكشف غوامض جريمة ما، هي جعل المتهمين أو المرتاب في أمرهم يتحدثون.. وفي النهاية لابد أن يكشف أحدهم أمر نفسه. وبعد برهة صمت قال مستطرداً:

– لقد فكرت أولا في احتمالات وفاة السيدة "**بونتون**" وفاة طبيعية وفي النهاية قررت أن الوفاة لم تكن طبيعية بأي حال. إن ضياع المحقن، ثم موقف أفراد الأسرة من السيدة المتوفاة أكد لي أن هناك جريمة قد ارتكبت. لا عن عمد وإصرار فحسب، وإنما لأن كل فرد من أسرة المجني عليها كان يعرف أنها ماتت مقتولة، وأن الجميع تصرفوا معا على هذا الأساس. واستأنف "**بوارو**" حديثه وهو ينظر إلى الجميع:

– إن هناك حافزاً قوياً لارتكاب الجريمة، وهو المال. إن كل فرد من أسرة السيدة "**بونتون**" سيستفيد من موتها ويرث ثروة طائلة. هذا عدا تحرر أفراد الأسرة كلهم من طغيانها واستبدادها بهم، وقد خطر ببالي أولا أن جميع أفراد الأسرة مشتركون في ارتكاب هذه الجريمة؛ لأن أقوالهم كانت متناقضة وتدل على أنهم يخفون شيئاً ما.. ولكنني رأيت أن أنظر أولا في احتمال أن يكون أحدهم فقط هو الذي ارتكبها، وأن الباقين تستروا عليه. وكان بديهيا أن تتجه شكوكي مباشرة إلى الشخص الذي سمعته بأذني ذات ليلة في "**القدس**" يدبر أمر قتلها. وبعد أن ذكر "**بوارو**" ما سمعه في تلك الليلة بـ"**القدس**"، استطرد يقول:

– هذا الشخص هو "**ريموند بونتون**". فتح "**ريموند**" شفتيه ليقول شيئًا، ولكنه آثر التزام الصمت، أما "**بوارو**" فقال وهو ينظر في ورقة بيده:

– قبل أن أستطرد في سرد أدلتي ضد "**ريموند**" أحب أن أقرأ عليكم هذه النقاط العشر التي لها دلالاتها. والتي أطلعت عليها العميد "**كاربري**" هذا اليوم.

هذه النقاط هي:

1– كانت السيدة "**بونتون**" تتناول دواء من مركبات "الديجيتالين".

2– فقد الدكتور "**جيرار**" محقناً.

3– كانت السيدة "**بونتون**" تستمد سعادتها من حرمان أفراد أسرتها من الاتصال، أو التعارف بالغير.

4– شجعت السيدة "**بونتون**" – في عصر ذلك اليوم المذكور– أفراد أسرتها على الخروج للنزهة في الجبل بدونها.

5– كانت السيدة "**بونتون**" سادية التفكير.

6– المسافة بين حديقة الاستراحة والمكان الذي كانت السيدة "**بونتون**" جالسة فيه تبلغ 180مترًا تقريبًا.

7– قال السيد "**لينوكس**" في أول الأمر: إنه لم يعرف متى عاد إلى المعسكر، ثم اعترف بأنه ضبط ساعة يد السيدة "**بونتون**" على الوقت المحدد.

8– كانت خيمة "**جنيفرا بونتون**" بجوار خيمة الدكتور "**جيرار**" مباشرة.

9– في الساعة السادسة والنصف، بعد أن تم إعداد طعام العشاء، أرسل أحد العمال لاستدعاء السيدة "**بونتون**".

10– قالت السيدة "**بونتون**" – في "**القدس**" – هذه العبارة: «إنني لا أنسى أبداً. تذكري هذا. إنني لا أنسى شيئًا أبداً».

وعلى الرغم من أنني وضعت هذه النقاط مفردة، إلا أنني أستطيع في بعض الأحيان أن أتناول كل نقطتين معًا. مثلا النقطتان الأوليان: «كانت السيدة "**بونتون**" تتناول دواء من مركبات "الديجيتالين"». «فقد الدكتور "**جيرار**" محقنًا». لقد أثارت هاتان النقطتان شكوكي منذ اللحظة الأولى، وسوف أعود إلى الحديث عنهما فيما بعد. ولكنني سأفرغ الآن من دراسة الاحتمالات التي تجعل من "**ريموند**" المتهم الأول. وهذه هي الحقائق التي يمكن أن نضعها ضده: لقد سمعته يتحدث إلى أخته "**كارول**" عن خطة لقتل زوجة أبيه. وكان في حالة توتر عصبي شديد، كما كان قد مر في ذلك اليوم بلحظة من اللحظات العاطفية القوية. وهنا توقف "**بوارو**" عن الحديث وانحنى للآنسة "**سارة كنج**"، وقال لها:

– معذرة يا آنسة "**كنج**". ثم استأنف حديثه قائلا:

- أعني أن "**ريموند**" في ذلك اليوم كان قد وقع في شرك الحب، وكان من الممكن أن تدفعه نشوة هذه العاطفة الجديدة إلى اتخاذ أكثر من موقف واحد، كان من الممكن أن تهدأ مشاعره وترق نحو العالم كله بما فيه زوجة أبيه، أو أن يستمد من هذا الحب الشجاعة لتحدي زوجة أبيه، والتحرر من سيطرتها وسلطانها، أو.. أو أن يجد في هذا الحب حافزًا إضافيًّا يدفعه إلى ارتكاب الجريمة. هذه كلها جوانب نفسية. أما الحقائق فهي:

1- غادر "**ريموند بونتون**" المعسكر مع الآخرين في الساعة الثالثة والربع تقريبًا.

2- كانت السيدة "**بونتون**" على قيد الحياة وفي حالة طيبة.

3- تحدث إلى "**سارة كنج**"، في أثناء النزهة، حديثًا عاطفيًّا خاصًّا. ثم انصرف عنها.

4- عاد إلى المعسكر بناء على أقواله في الساعة السادسة إلا عشر دقائق.

5- مضى إلى زوجة أبيه وتحدث إليها قليلا، ثم هبط إلى حديقة الاستراحة.

6- يقول إن زوجة أبيه كانت على قيد الحياة في السادسة إلا عشر دقائق.

ولكننا نعرف الآن حقيقة أخرى تناقض تلك الحقيقة الأخيرة، ذلك أن الآنسة "**كنج**"، وهي طبيبة مؤهلة. على استعداد لأن تقسم أن السيدة "**بونتون**" كانت ميتة قبل السادسة والنصف بأكثر من ساعة ونصف على الأقل. وعلى هذا نجد أمامنا قولين متناقضين. فإذا افترضنا أن الآنسة "**كنج**" لم تخطئ.. وهنا قاطعته "**سارة**" قائلة:

- إنني لم أخطئ. ولو أني أخطأت في تقديري لاعترفت بخطئي. فانحنى "**بوارو**" أمامها إعجابًا وقال:

- إذن هناك احتمالان لا ثالث لهما. إما أن تكون الآنسة "**كنج**" كاذبة في تقديرها، أو أن يكون "**ريموند**" كاذبًا في أقواله. ولنتناول الآن الأسباب التي تدفع "**ريموند**" إلى الكذب على افتراض أن الآنسة "**كنج**" لم تخطئ ولم تكذب. لقد عاد "**ريموند**" إلى المعسكر وذهب فورًا فوجدها ميتة، فماذا فعل؟

هل استغاث؟ هل ذهب فوراً وأخبر الجميع بموتها؟ لا، لقد وقف بجانبها متظاهراً بالحديث إليها لحظة أو لحظتين وهبط إلى حديقة الاستراحة دون أن يقول شيئًا، ولا شك في أن مثل هذا التصرف يدعو إلى الدهشة.. أليس كذلك؟ فقال "**ريموند**" بحدة:

– إن هذا أمر مضحك. لا شك في أن الآنسة "**كنج**" كانت مخطئة في تقريرها؛ بسبب الظروف القاسية التي كنا نمر بها.

فاستطرد "**بوارو**" يقول متجاهلا هذا الاعتراض:

– إن الإنسان ليتساءل. هل هناك سبب يبرر هذا التصرف؟ إن الظاهر، كما يبدو أن "**ريموند**" لا يمكن أن يكون جانيًا مادامت أمه كانت ميتة فعلا عندما ذهب إليها لأول مرة بعد ظهر ذلك اليوم. فإذا افترضنا أن "**ريموند**" بريء، فما معنى تصرفه هذا؟ ما معنى قوله: إن أمه كانت على قيد الحياة حين ذهب إليها بينما كانت في الواقع ميتة؟ وصمت "**بوارو**" برهة، ثم استطرد يقول:

– إن التفسير الوحيد لهذا التصرف هو ظنه أن أخته "**كارول**" نفذت خطة القتل بدلا منه. فصاح "**ريموند**" مرتعداً:

– هذا كذب. واستأنف "**بوارو**" حديثه قائلا:

– ولننظر الآن في الاحتمالات التي تجعل "**كارول**" موضع الاتهام.. فما الأدلة ضدها؟ إنها مثل أخيها "**ريموند**" كانت تعاني قسوة زوجة أبيها، وكانت مثله قد بلغت أقصى حالات التمرد، ولهذا اشتركت معه في تدبير خطة للقضاء عليها باعتبار أن قتل مثل هذه المرأة الشريرة عمل بطولي. لقد عادت "**كارول بونتون**" إلى المعسكر في الخامسة وعشر دقائق وذهبت للحديث إلى أمها هذا ما تقوله هي، ولكن أحداً في المعسكر لم يرها. كان العمال نائمين، وكانت السيدة "**وستولم**"، والآنسة "**بيرس**"، والسيد "**كوب**" يشاهدون منطقة أثرية بعيدة. ومعنى هذا أن الفرصة كانت متوافرة جداً لكي تنفذ "**كارول**" غرضها.

وهنا رفعت "**كارول**" رأسها ونظرت في ثبات وحزن إلى "**بوارو**" الذي استطرد يقول:

– وفي الصباح التالي شوهدت "**كارول**" وهي تقذف بعلبة محقن في الجدول. وعندئذ قال الدكتور "**جيرار**" في دهشة:

– كيف يمكن هذا وقد عثرت على محقني بالخيمة في ذلك الصباح؟

– نعم. نعم. ولكنني فهمت من أقوال الشاهدة التي رأت "**كارول**" تقذف بالمحقن أنه ملك الآنسة "**كنج**"، أليس كذلك يا آنسة "**كنج**"؟! وقبل أن ترد "**سارة**"، أسرعت "**كارول**" قائلة:

– إن المحقن لم يكن ملك الآنسة "**كنج**"، وإنما ملكي أنا.

– إذن فأنت تعترفين بأنك قذفت به إلى الجدول؟

– نعم بالتأكيد. ولماذا أنكر؟ ولكنني لم.. لم ألمس العقار السام. وعندئذ قالت "**سارة كنج**":

– إن المحقن ملكي أنا يا سيد "**بوارو**". وهذا ما قلته للآنسة "**بيرس**" في ذلك الصباح. فقال "**بوارو**":

– هذه الأقوال المتعارضة تملأ النفس بالحيرة والتساؤل ولكن من الممكن تفسير هذا التعارض. إنني الآن– بدافع الإنصاف– سأفترض أن "**كارول**" بريئة. فما الأدلة على براءتها؟! لقد عادت من نزهتها الجبلية إلى المعسكر، وذهبت للحديث إلى زوجة أبيها، فوجدتها ميتة، فخطر ببالها فوراً أن "**ريموند**" نفذ خطة القتل، ولم تدر ماذا تفعل، ولهذا آثرت التزام الصمت، ولما عاد "**ريموند**" بعد ساعة وتظاهر بالحديث إلى زوجة أبيه، تأكدت أنه مرتكب الجريمة، ومن ثم دخلت خيمته وعثرت على المحقن، وازدادت تأكداً، ولكنها أخذت المحقن وأخفته، وحاولت التخلص منه في الصباح التالي. صمت "**بوارو**" لحظة، ثم قال:

– إن هناك دليلا قويا جعلني أؤمن ببراءة "**كارول**" فعندما طلبت منها أن تقسم على براءتها، بادرت بالقسم المؤكد دون أن تتردد لحظة واحدة. ووثب "**ريموند**" فجأة وقال في تحد:

– لا داعي لكل هذا الحديث الطويل يا سيد "**بوارو**". إنني أعترف الآن أنك

على حق، لقد كانت زوجة أبي ميتة فعلا حين ذهبت إليها في السادسة إلا عشر دقائق. وقد صدمت عندئذ؛ لأني كنت أنوي أن أصارحها بأني قررت الافتراق عنها والزواج بالآنسة "**كنج**". ولكن عندما وجدت أنها ميتة خطر لي فوراً، كما قلت أن "**كارول**" نفذت الخطة؛ ولذلك التزمت الصمت لاسيما حين رأيت علامة وخز المحقن على معصمها. فقال "**بوارو**":

– وما تلك الخطة التي وضعتها للتخلص من زوجة أبيك؟ يجب أن تصارحني بها إذا أردت مني أن أصدقك. فأسرع "**ريموند**" يقول:

– كانت وسيلة قرأت عنها في رواية بوليسية إنجليزية. وتتلخص في أن حقن أي إنسان في الوريد بالهواء أي– بمحقن فارغ إلا من الهواء– يؤدي إلى وفاته وقد ظننت أن هذه أحسن وسيلة علمية أنفذ بها خطتي. فأومأ "**بوارو**" برأسه وقال:

– آه! فهمت، ولذلك اشتريت محقناً لهذا الغرض؟

– لا لقد سرقت محقن "**نادين**". فرمقه "**بوارو**" بنظرة سريعة وقال:

– المحقن الذي كان في حقائب سفرها بـ"**القدس**"؟

– نعم.. التفت "**بوارو**" إليهم جميعاً وقال:

– الآن يمكن القول إننا كشفنا غموض ذلك المحقن الذي شوهدت "**كارول**" تقذف به إلى الجدول. لقد أخذه "**ريموند**" من أمتعة "**نادين**" في "**القدس**". وأخذته "**كارول**" من خيمته حين ظنت أنه نفذ خطته، وعثرت عليه الآنسة "**بيرس**" على ضفة الجدول بين المخلفات، وأخذته منها الآنسة "**كنج**" قائلة إنه ملكه، وأعتقد أنه الآن مع الآنسة "**كنج**". فقالت "**سارة**":

– نعم.

– معنى هذا أنك كذبت علينا حين قلت إنه ملكك؟

– إنها كذبة مختلفة. كذبة لا علاقة لها بشرف المهنة.

– آه! إنني أعرب لك عن إعجابي الشديد يا آنسة "**كنج**".

– شكراً. صمت "**بوارو**" برهة، ثم عاد يقول:

– والآن لنعد إلى الاحتمالات التي تدين كل واحد من أفراد الأسرة وإلى

الاحتمالات الأخرى التي تبرئه.

ثم أخذ يتلاعب بالجميع كما يفعل القط بمجموعة صغيرة من الجرذان المذعورة. فهو يسوق الأدلة على اتهام "**لينوكس**"، ثم "**نادين**". ثم "**جنيفرا**"، ثم يعود ويفند هذه الأدلة كلها مؤكداً أنه شديد الإيمان ببراءتهم جميعًا، وأنه لم يقبل القيام بهذه المهمة إلا ليثبت للعميد "**كاربري**" براءة أفراد أسرة "**بونتون**" من دم زوجة أبيهم. وراح الجميع يتبادلون النظرات، بينما هتف العميد "**كاربري**" قائلا في تجهم وحيرة:

– هل في الأمر جريمة أم لا؟!

– بالتأكيد.. بالتأكيد يا عزيزي.

– حسنًا. إذا لم يكن أحد من هؤلاء هو المذنب، فلابد أن أكون أنا..

– ولا أنت يا عزيزي. إنما هو شخص آخر. شخص آخر تأكدت منه حين سمعت قول السيدة "**بونتون**" للآنسة "**كنج**" في بهو الفندق بـ"**القدس**":

– "إنني لا أنسى شيئًا أبداً. تذكري هذا. لا أنسى قط تصرفا ولا اسمًا ولا وجهًا".

- 22 -

قال "**بوارو**" وهو يتأمل الوجوه المرفوعة إليه في دهشة:

– ما الحقيقة إذن؟ إنه سؤال لابد من الإجابة عنه لقد أخذ من حقيبة أدوية الدكتور "**جيرار**" جزء من عقار "الدجيتوكسين" السام، وأخذ منه أيضًا محقن ثم أعيد في الليل أو في الصباح الباكر. وهناك علامة وخز إبرة المحقن على معصم يد المتوفاة. ومن المؤكد أننا سنعرف بعد التشريح ما إذا كانت السيدة "**بونتون**" ماتت متأثرة بسم عقار "الديجيتوكسين" أم لا. ولكن نتيجة التحليل والتشريح قد تأتي بعد فوات الأوان، ولهذا يجب أن نعرف الحقيقة الليلة، وقبل

أن يفر القاتل من أيدينا. فرفعت "**نادين**" رأسها وقالت بحدة:

- هل تعني أنك لاتزال تعتقد أن.. أن أحدنا.. ؟

- إنني أعتقد أن القاتل هنا. في هذا الفندق. وسوف أذكر لكم اسمه بعد قليل. بعد أن أقنعكم بإدانته بناء على تحليلنا للنقط العشر أو جزء منها على الأقل. ولنأخذ النقطتين الأوليين: كانت السيدة "**بونتون**" تتناول دواء من مستحضرات "الديجيتالين" وفقد الدكتور "**جيرار**" محقنه. إن هاتين الحقيقتين تؤكدان ظاهريا إدانة أحد أفراد أسرة "**بونتون**"، ولكنهما مع التفكير المنطقي، تؤكدان العكس، إن سرقة كمية من العقار السام بارعة في حد ذاتها؛ لأن السيدة "**بونتون**" كانت تتناول مستحضراً خفيفًا من هذا العقار فلو أنني كنت أحد أفراد أسرة "**بونتون**"، فماذا أفعل؟ إن أسهل شيء، وأبعد شيء عن الشبهة هو أن أضع العقار المركز في زجاجة دواء السيدة "**بونتون**" وعندما تتناول الكمية المعتادة، تموت فوراً بالسكتة القلبية وبهذا أحقق هدفي دون أن يفطن أحد. وحتى إذا فطن أحد بأن الزجاجة بها عقار مركز، فسوف يسهل على الجاني الزعم بأن الخطأ يرجع إلى الصيدلي الذي أعد الدواء. أي أنه ليس هناك ما يدعو إطلاقًا إلى سرقة محقن، أو المغامرة بحقن السيدة "**بونتون**" في مكان مكشوف، إذن فلماذا سرق المحقن من خيمة الدكتور "**جيرار**"؟ هناك تفسيران لهذا السؤال: إما أن يكون الدكتور "**جيرار**" لم يبحث جيداً عن المحقن؛ بسبب حالة الحمى التي كان يعانيها أي أن المحقن كان موجوداً في الخيمة طيلة الوقت ولم يسرق، أو أن القاتل سرق المحقن لأنه لم يستطع الوصول إلى زجاجة دواء السيدة "**بونتون**" ليضع فيها العقار السام، وذلك لأنه لم يكن واحداً من أفراد الأسرة، وهذا يعني أن القاتل شخص خارج أسرة "**بونتون**" - أي شخص ليس له حق دخول كهف السيدة "**بونتون**" دون أن يلفت إليه الأنظار وصمت "**بوارو**" قليلا قبل أن يستطرد قائلا:

- فمن يكون هذا الشخص الدخيل؟ إنه ليس السيد "**كوب**"؛ لأن جميع الأدلة تثبت أنه ليس له أية مصلحة في قتل السيدة "**بونتون**". وليست الآنسة

"**كنج**" أيضا؛ لأنه لا يعقل– إطلاقًا– أن ترتكب آنسة مثقفة وطبيبة جريمة قتل لكي تفسح الطريق أمامها للزواج بـ"**ريموند**"، وليس الدكتور "**جيرار**" بطبيعة الحال؛ لأنه كان محبوبًا، وحتى إذا لم يكن محبوبًا فما مصلحته المهمة في قتل السيدة "**بونتون**"؟ هذا إلا إذا كانت لدى كل منهم حوافز قوية لارتكاب هذه الجريمة. لا ندري عنها شيئًا. فابتسم "**جيرار**" وقال:

– مثل ماذا؟

– أنت مثلا. ربما قررت أن تتولى علاج "**جنيفرا**" وإنقاذها من المصير الرهيب الذي كانت تنحدر إليه بسرعة، ولكنك رأيت أن العلاج لن يجدي إلا إذا أزلت من الوجود السبب في المرض. أي إنك– مثلا– قررت التضحية بأم عجوز شريرة لإنقاذ ابنة شابة جميلة طاهرة كالملاك. فابتسم "**جيرار**" وقال:

– يا لخيالك الواسع العجيب يا سيد "**بوارو**"! واستطرد "**بوارو**" قائلا دون أن يحفل به:

– ولكن إذا كان الدكتور "**جيرار**" هو القاتل، فلماذا لفت الأنظار إلى احتمال وقوع جريمة حين قرر أن المحقن سرق منه. وكذلك كمية من العقار السام؟ إن هذا الموقف يا أصدقائي لا يتفق مع أقل قواعد المنطق. فقال العميد "**كاربري**":

– وماذا بعد يا سيد "**بوارو**"؟ أليس لهذا الحديث من نهاية؟ فأومأ "**بوارو**" قائلا:

– لقد أوشكت أن أصل إلى النهاية. ولنأخذ الآن النقطتين الثالثة والرابعة: السيدة "**بونتون**" تستمد سعادتها من حرمان أفراد أسرتها من الاتصال بالغير والسيدة "**بونتون**"– في عصر ذلك اليوم المذكور– شجعت أفراد أسرتها على الخروج للنزهة بدونها. إن هاتين الحقيقتين تتعارضان معا كل التعارض. فلماذا قررت السيدة "**بونتون**" في عصر ذلك اليوم أن تغير سياستها مع أفراد الأسرة فجأة؟ لابد أن هناك سببًا. فما هو؟ ونظر "**بوارو**" إلى الجميع متسائلا، فلما رآهم يحملقون إلى وجهه صامتين، استطرد يقول:

– هلموا نتعمق في نفسية السيدة "**بونتون**" كما وصفها بحق الدكتور "**جيرار**"، لقد سئمت السيطرة على أفراد أسرتها بين جدران قصرها في "**أمريكا**"، وقررت أن

تغزو آفاقًا جديدة لإشباع حب السيطرة في نفسها، فقامت بهذه الرحلة إلى الخارج وهي مؤمنة بأن هذه الرحلة سوف تزيد من نطاق سيطرتها عليهم، وتتيح لنفسها مزيداً من فرص ممارسة طغيانها والتحكم في تصرفاتهم. ولكن النتيجة كانت عكسية تماماً؛ لأنها ما كادت تخرج إلى العالم الواسع حتى أدركت تفاهتها، وضآلة شأنها، واحتمال عجزها عن القبض على زمام الأمور بين أفراد أسرتها. وهذا يؤدي بنا إلى النقطة العاشرة. فعندما ذهبت "**سارة كنج**" إليها في بهو الفندق وأخبرتها برأيها فيها بكل صراحة، تحدثت السيدة "**بونتون**" بعبارة غامضة– دون أن تنظر إلى الآنسة "**كنج**" – وإنما كانت تنظر إلى شخص آخر قريب من المكان– قالت بالحرف الواحد: «إنني لا أنسى أبداً شيئاً. تذكري هذا. لا أنسى تصرفا، ولا اسماً، ولا وجهاً». وصمت "**بوارو**" برهة، ثم قال للجميع:

– هل يمكن لأحدكم أن يفهم دلالة هذه العبارة، إنها بالتأكيد لم تكن رداً على حديث الآنسة "**كنج**". بل إنها لم تكن تنظر إلى الآنسة "**كنج**" وهي تقول تلك العبارات. وهذا يعني أنها كانت موجهة إلى شخص آخر وراء الآنسة "**كنج**".. ومرة أخرى أمسك "**بوارو**" عن الحديث قبل أن يستطرد قائلا:

– لقد وقعت أنظار السيدة "**بونتون**" على ذلك الشخص في أقسى لحظات حياتها، في اللحظة التي انعقد فيها لسانها من فرط الغضب حين بينت لها الآنسة "**كنج**" مدى تفاهتها وضآلة شأنها.. في تلك اللحظة رأت شخصاً آخر يمكن أن يكون ضحية جديدة تمارس فيه نزعتها الشديدة إلى السيطرة والطغيان. وهذا ما يفسر موقفها الغامض من أفراد أسرتها في عصر ذلك اليوم. أعني حين طلبت إليهم أن يذهبوا جميعاً للنزهة بدونها.. أتعرفون لماذا؟ لكي تتاح لها الفرصة للانفراد بالضحية الجديدة التي وقعت بين يديها للانفراد بها والتمتع بتعذيبها. ومن هذه النقطة الجديدة يجب أن نتناول أحداث عصر ذلك اليوم. لقد ذهب أفراد الأسرة للنزهة. وبقيت السيدة "**بونتون**" جالسة أمام كهفها. والآن لنتناول أقوال السيدتين: السيدة "**وستولم**" والآنسة "**بيرس**"، وإن كانت أقوال الآنسة "**بيرس**" لا قيمة لها؛ لأنها ضعيفة الشخصية ومن السهل الإيحاء لها بما يراد منها

أن تقول. أما السيدة "**وستولم**" فهي واضحة في أقوالها وقوية الملاحظة جداً.. والسيدتان متفقتان في أنهما رأتا أحد العمال العرب يقترب من السيدة "**بونتون**" ويثير غضبها بطريقة ما، ثم يتراجع بسرعة حين ثارت عليه ولوحت بعصاها وراءه. وقد قالت السيدة "**وستولم**" : إن العامل دخل أولا خيمة "**جنيفرا بونتون**". ولكنكم تذكرون أن خيمة الدكتور "**جيرار**". كانت تجاور مباشرة خيمة "**جنيفرا**" ومن المحتمل إذن أن يكون العامل العربي قد دخل خيمة الدكتور "**جيرار**". فقاطعه العميد "**كاربري**" عندئذ بقوله:

– هل تريد أن تقول لنا: إن أحد العمال العرب هو الذي ارتكب هذه الجريمة؟ يا للعجب! فابتسم "**بوارو**" وقال:

– مهلا يا صديقي. إنني لم أفرغ بعد من حديثي. لنتفق أن العامل العربي خرج من خيمة الدكتور "**جيرار**". فماذا بعد. إن السيدتين تتفقان في وصفه. وكان مرتديا عقالا كالعرب، وسترة وبنطلونا من بنطلونات الركوب هذا هو وصف الآنسة "**بيرس**" له. أما السيدة "**وستولم**"، فقد تمادت في وصفه قائلة: إنه كان مرتديا بنطلونا ممزقا، وحزام ساق غير محكم على ساقيه. ولكنهما لم تستطيعا أن تتبينا وجهه، أو تسمعا الحديث الذي دار بينه وبين السيدة "**بونتون**"؛ لأن المسافة بينهما وبينه كانت نحو مائة وثمانين متراً. وصمت "**بوارو**" لحظة قبل أن يردف قائلا:

– فإذا كان من العسير على السيدة "**وستولم**" أن تتبين وجهه، فكيف أمكنها أن تلاحظ بدقة عدم إحكام الحزام (القلشين) على ساقيه؟ أليس هذا عجيباً ومثيراً للتساؤل؟! لأنها مادامت لم تستطع أن ترى وجهه بوضوح، ولا أن تسمع صوته بسبب طول المسافة، فإنها على هذا لا تستطيع أن ترى الحالة التي كان عليها القلشين من مسافة مائة وثمانين متراً.

لقد كانت غلطة كما ترون. وقد أثارت هذه الملاحظة تفكيري. لماذا أصرت السيدة "**وستولم**" على وصف قلشين ذلك العامل العربي بهذه الدقة؟ أتراها فعلت ذلك لأن العامل لم يكن مرتديا قلشينا على الإطلاق؟ لقد رأته كل من السيدة

"**وستولم**" ، والآنسة "**بيرس**" . ولكن كلا منهما كانت جالسة أمام خيمتها وبالنظر إلى هذه الخريطة نرى أن سور حديقة الاستراحة يمنع كلا منهما من رؤية الأخرى وهما جالستان أمام خيمتيهما. وقد أكدت "**وستولم**" هذه الحقيقة بقولها: إنها ذهبت لترى الآنسة "**بيرس**" فوجدتها جالسة أمام خيمتها تقرأ.. أي أنها لو كانت تراها من أمام خيمتها- خيمة السيدة "**وستولم**"- لما كان هناك سبب لذهابها لكي تراها. وانتصب العميد "**كاربري**" في جلسته وقال:

– يا إلهي! أتريد أن تقول إن السيدة... فقاطعه "**بوارو**" قائلا:

– أريد أن أقول إن السيدة "**وستولم**" حين تأكدت أن الآنسة "**بيرس**" جالسة مستغرقة في القراءة- وكانت هي الوحيدة المستيقظة، أو الموجودة في المعسكر في تلك الساعة- عادت إلى خيمتها وارتدت سراويل الركوب، وسترة كاكية اللون، وصنعت لرأسها عقالا. وما أسهل هذا بطبيعة الحال! واندفعت إلى خيمة الدكتور "**جيرار**" وأخذت المحقن، وفحصت حقيبة الأدوية واختارت العقار المناسب لتحقيق هدفها، وملأت المحقن منه، ومضت بكل جرأة إلى خيمتها.

واستطرد "**بوارو**" قائلا بعد أن صمت لحظة:

– ومن المحتمل أن السيدة "**بونتون**" كانت غافية في تلك اللحظة. ولكن المؤكد أن السيدة "**وستولم**" كانت سريعة وحاسمة، إذ أمسكت بمعصمها وحقنتها بالعقار السام. وصاحت السيدة "**بونتون**" وحاولت النهوض، ولكنها تهالكت في مكانها. وأسرع "العامل العربي"- كما بدا للآنسة "**بيرس**" عندئذ- بالهرب والسيدة "**بونتون**" تلوح وراءه بعصاها في غضب. وبعد خمس دقائق تكون السيدة "**وستولم**" قد تخلصت من ملابس التنكر وعادت إلى الآنسة "**بيرس**" لتعلق على ذلك المنظر وهي واثقة بأن تعليقها سوف يترك أثره في نفسية الآنسة "**بيرس**" الضعيفة التي تتأثر بسرعة من إيحاءات الغير. وبعد ذلك ذهبنا للنزهة وقد تعمدت السيدة "**وستولم**" أن تقف تحت الجرف الذي تجلس فوقه السيدة "**بونتون**" لتهتف لها بعبارة. ولم تتلق أي رد بطبيعة الحال ولكنها تظاهرت بأن السيدة "**بونتون**" ردت بغمغمة تنم عن قلة الذوق.

وعلقت على هذا أمام الآنسة "**بيرس**" المستعدة على أن تقسم بأنها سمعت غمغمة من السيدة "**بونتون**" .. هكذا يبلغ ضعف نفسية الآنسة "**بيرس**" .. لقد جربت بنفسي هذا معها إذ أوحيت إليها أنني عطست أمامها، وأكدت لي أنها سمعتني أعطس فعلا..!! المهم أن السيدة "**وستولم**" بحكم عملها في الميدان السياسي كانت تعرف حقيقة نفسية السيدة "**بيرس**" ومدى استعدادها لتقبل أي شيء يوحى إليها به. ولكن المشكلة التي واجهت السيدة "**وستولم**" بعد ذلك هي التخلص من المحقن. لقد عاد الدكتور "**جيرار**" إلى خيمته بأسرع مما كانت تظن؛ بسبب إصابته المفاجئة بالحمى، وقد خامرها الأمل في أنه لن يلحظ ضياع المحقن حتى تتمكن من إعادته إلى خيمته في أثناء الليل، أو في الصباح الباكر. وتوقف "**بوارو**" عن الحديث.. وقالت "**سارة**" :

– ولكن لماذا..؟ لماذا أرادت السيدة "**وستولم**" قتل السيدة "**بونتون**" ؟

– ألم تقولي إن السيدة "**وستولم**" كانت جالسة بالقرب منك حين ذهبت وتحدثت إلى السيدة "**بونتون**" في بهو الفندق بـ"**القدس**" ؟ إن عبارة السيدة "**بونتون**" الغامضة: «إنني لا أنسى شيئًا أبداً.. تذكري هذا.. لا أنسى قط تصرفًا، ولا اسمًا ولا وجهًا..» لم تكن موجهة إليك، وإنما إلى السيدة "**وستولم**" فإذا عرفنا أن السيدة "**بونتون**" كانت سجانة قبل زواجها فيمكنكم أن تستنتجوا الحقيقة. لقد تعرف الأمير "**وستولم**" بزوجته هذه في أثناء عودته بالباخرة من رحلته إلى "**أمريكا**" . وكانت السيدة "**وستولم**" قبل زواجها، مجرمة في "**أمريكا**" أمضت بضع سنوات من عمرها في أحد السجون. وصمت "**بوارو**" لحظة قبل أن يستأنف حديثه قائلا:

– ويمكنكم أن تتصوروا الفزع الرهيب الذي ملأ قلب السيدة "**وستولم**" حين وجدت نفسها فجأة أمام سجانتها السابقة! إن كل آمالها وكل شيء عظيم في حياتها أصبح مهدداً في يوم وليلة، إننا لا نعرف الآن السبب الذي من أجله سجنت في "**أمريكا**" – وإن كنا سنعرف هذا بعد يوم أو يومين– ولكن أيا كان السبب، فلابد أنه كفيل بنسف كل ما بنته من مجد سياسي، ومكانة اجتماعية رفيعة إذا

شاع أمره بين الناس. وتذكروا هذا.. إن السيدة "**بونتون**" لم تكن من النوع الذي يهدد من أجل ابتزاز المال.. إنها لم تكن بحاجة إلى المال.. ولو أنها كانت كذلك، لاستطاعت السيدة "**وستولم**" شراء سكوتها، ولكن السيدة "**بونتون**" كانت من النوع الذي يستمد سعادته من تعذيب ضحاياه، وتعريضهم لأقسى أنواع البؤس والشقاء.. ومن ثم أيقنت السيدة "**وستولم**" أنها لن تكون في أمان أبداً طالما بقيت السيدة "**بونتون**" على قيد الحياة.. وهكذا أطاعت أمر السيدة "**بونتون**" حين طلبت إليها أن تلتقي بها في مدينة "**بطرا**" وقد تعجبت قبل أن أعرف هذه الحقائق كيف تسافر سيدة ذات مكانة اجتماعية كبيرة مثل السيدة "**وستولم**" بمثل هذه الوسيلة المتواضعة ولكنها كانت في ذات الوقت تفكر في طريقة للخلاص من السيدة "**بونتون**".. ولما سنحت الفرصة نفذت الجريمة بكل جرأة.. ولكنها ارتكبت خطأين. الأول: وصفها الدقيق لقلشين العامل العربي الذي أثار شكوكي، والخطأ الثاني: عندما أخطأت ودخلت خيمة "**جنيفرا**" في أول الأمر وهي تحسبها خيمة الدكتور "**جيرار**".. وهذا ما يفسر حديث "**جنيفرا**" عن "الشيخ العربي" الذي دخل خيمتها وأراد أن يختطفها كما توهمت. وبعد برهة صمت أخيرة قال "**بوارو**" مستطرداً:

– ولكننا سنعرف الحقيقة بالدليل المادي قريباً جداً.. لقد حصلت على بصمات السيدة "**وستولم**" دون علمها، وأرسلتها إلى إدارة السجن الذي كانت تعمل فيه السيدة "**بونتون**" سجانة، وسوف نعرف الحقيقة قريباً عند مضاهاة بصمات السيدة "**وستولم**" على البصمات الموجودة في سجلات إدارة السجن.

وما كاد "**بوارو**" يفرغ من عبارته الأخيرة حتى سمع الجميع دويا حاداً في الغرفة المجاورة مباشرة فهتف الدكتور "**جيرار**" قائلا:

– ما هذا؟ فقال العميد "**كاربري**" وهو ينهض بسرعة:

– إنه دوي طلق ناري.. من المقيم في الغرفة المجاورة؟ فقال "**بوارو**" وهو يبتسم بخبث:

– السيدة "**وستولم**"..

الخاتمة

صدرت صحف اليوم التالي في "**القدس**" و"**لندن**" تحمل هذا النبأ:

« يؤسفنا أن نذيع نبأ وفاة السيدة "**وستولم**" عضو البرلمان الإنجليزي إثر حادث أليم. لقد وجدت السيدة "**وستولم**" في غرفتها بفندق الملك "**سليمان**" بـ"**القدس**" مصابة بطلق ناري والمسدس في يدها. وقد اتضح أن المسدس انطلق في أثناء تنظيفها إياه. وكانت الوفاة فورية.. ونحن نتقدم بالعزاء إلى... إلخ.. إلخ.

وفي مساء يوم دافئ من شهر حزيران (يونيو) بعد هذه الأحداث بخمس سنوات. كانت "**سارة**" وزوجها "**ريموند**" جالسين في مقصورة خاصة بمسرح "**لندن**" يشاهدان مسرحية "**هاملت**"، وأمسكت "**سارة**" بذراع "**ريموند**" في تأثر شديد حين صعدت إلى خشبة المسرح الممثلة الذائعة الصيت "**جنيفرا بونتون**" بدور "**أوفيليا**". وهمست "**سارة**" لزوجها:

– ما أروعها! ما أعظم عبقريتها! لقد صدق الدكتور "**جيرار**" حين قال إن "**جنيفرا**" ستكون من أعظم ممثلات عصرها.

وفي ساعة متأخرة من تلك الليلة بعد انتهاء التمثيل. كانت "**جنيفرا**" جالسة في مطعم "**سافوي**" تقول لرجل ملتح بجانبها– هو مخرج المسرحية– وهي تضع على شفتيها تلك البسمة الخالدة:

– هل أديت دوري الليلة كما ينبغي يا "**تيودور**"؟

– كنت رائعة يا عزيزتي. وعلى مائدة قريبة كان ممثل دور "**هاملت**" يقول باكتئاب لصديقته:

– إنها رائعة بالتأكيد.. وإن طريقتها في تمثيل دور "**أوفيليا**" تعتبر شيئًا جديدًا في عالم المسرح.. ولكنها ضيعتني بجانبها. وقالت "**نادين**" الجالسة أمام "**جنيفرا**" إلى نفس المائدة:

– ما أروع وجودي هنا في "**لندن**" وجلوسي مع "**جنيفرا**" الممثلة الذائعة

الصيت!

– هل يمكن أن ندع طفلينا يشاهدان المسرحية في الحفلة المسائية؟ إنهما في السن التي يمكن أن يتعرفا فيها عمتهما وهي على خشبة المسرح. فرفع "**لينوكس**" كأسه وقال بصوت كله السعادة والمرح:

– إلى الزوجين الجديدين.. السيد "**كوب**".. و"**كارول**".. وضحكت "**كارول**" وقالت لزوجها "**جيفرسون كوب**":

– "**جيف**".. يحسن أن تشرب نخب غرامك الأول أيها الغادر. قال "**ريموند**" ضاحكًا:

– إن صاحبنا "**جيف**" يشعر بالخجل.. ألا ترون احمرار وجهه، يبدو أنه لا يحب أن يذكره أحد بما مضى.

وفجأة اكتأب وجهه وبدا عليه كأنه يرى حلمًا قديمًا مزعجًا حين شاهد السيد "**بوارو**" يتقدم نحو "**جنيفرا**" وينحني على يدها مقبلا قائلا:

– تحياتي إلى أعظم فنانة في هذه البلاد، حياه الجميع بحرارة وأفسحوا له مكانًا بينهم.. تلفت "**بوارو**" حوله، ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وانحنى على "**سارة**" وقال لها هامسًا:

– يبدو أن كل شيء على ما يرام مع أفراد أسرة "**بونتون**".

– الفضل لله ولك يا سيد "**بوارو**"..

– لقد أصبح زوجك رجلا مشهوراً.. قرأت ما كتبه المعلقون والنقاد عن كتابه الأخير..

– إنه عبقري بلا شك.. هل تعلم أن "**كارول**" و"**كوب**" استطاعا أن يكونا أسعد زوجين على الرغم مما كان من حب "**كوب**" لـ"**نادين**" أولا، ولعلك لم تعلم أن "**نادين**" أطلقت لنفسها حرية الحمل، وأصبح لها الآن طفلان جميلان جدًّا.. أما "**جنيفرا**".. فها هي ذي تراها.. عبقرية وشهرة ونجاح..

تمّت بعون الله